مسائل جوهرية

في فكر السلفية الجهادية

(من التوحيد إلى صناعة القيادة)

بقلم:

د. أكرم حجازي

كاتب وأستاذ جامعي

تنسيق محبه:

ذروة السنام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- n -

الموضوع	الصفحة
مقدمة التنسيق	٤
m	٦
المحور الأول: لغة السلفية الجهادية في مسائل معينة	١٠
أولاً: ثقافة التوحيد	١٠
ثانيا: "محاربة الطواغيت"	٢٣
ثالثا: سايكس – بيكو، واقع وثقافة	٣١
رابعا: العلماء والفقهاء، أي دور؟ وأية وظيفة؟	٤٠
المحور الثاني: صناعة القيادة	٥٠
أولا: الراية، للأمة؟ أم للجماعة؟	٥١
ثانيا: القيادة، مواصفات وشروط	٦٢
خلاصة القول	٧٦
قائمة المصادر والمراجع	٨٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة التنسيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد بحثت عن تعريف للدكتور أكرم حجازي لأضعه في مقدمة هذا البحث -كحق من حقوقه- فلم أجد إلا ما في مدونته، وهو تعريف مختصر بل معتصر، لا يفي بحقه. والدكتور -حفظه الله- ما عرفته إلا من خلال قلمه، وقد لمست فيه الإنصاف -العزيز في هذه الأيام!- والتجرد للحقيقة ولو على مخالفة الكثير من الباحثين والأكاديميين والإعلاميين -نحسبه كذلك-.

وهو في الواقع جدير بأن تستفيد منه كثير من الفضائيات للتعليق على الأحداث الجهادية، خاصة تلك التي تكون السلفية الجهادية طرفاً فيها، ذلك أنه من أصدق من رأيت من المحللين في تفسير وجهة النظر السلفية الجهادية.. فهو أحق بالاستضافة من كثير ممن يخرجون على الفضائيات ليصموا آذاننا بغثائهم وفلسفتهم وتلبسهم بما لم يُعطَوا (فهذا خبير بالجماعات الإسلامية، وذاك خبير بشؤون الإرهاب، وآخر بشؤون القاعدة...الخ) والإيجابية الوحيدة للاستماع لأمثال هؤلاء هي الترويح على النفس، فلا بأس بساعة نرفه عن أنفسنا ونخفف عنها أعباء الحياة، ولكن ننصح بعدم الإكثار، لأن كثرة الضحك تقسِّي القلب ..!

فدكتور أكرم حجازي أحق منهم إذا كانت تلك الفضائيات تتحرى الحق والحقيقة في برامجها!

وأما تجاهلهم له فلا يضير الدكتور إن شاء الله.. فقد عرفه المنصفون وذاع صيته بين الجادين في بحث الحقيقة وفهم الأمور كما هي على الواقع لا كما تريد أمريكا، وهم في شوق دائم لجديد بحوثه ومقالاته.

هذا ما أحببت قوله عن الدكتور أكرم، إضافة إلى المعلومات اليسيرة الموجودة على مدونته، على العنوان التالي: http://drakramhijazi.maktoobblog.com/ ، والتي جاء فيها:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاسم: د. أكرم حجازي
البلد: الأردن
تاريخ الميلاد: نيسان١، ١٩٦١
المهنة: أكاديمي / تعليمي
البريد الالكتروني: drakramhijazi@yahoo.com

عملي في التنسيق:

لم أقم بشيء يستحق الذكر.

إلا أن هناك تعليقات بسيطة أضفتها على بحثه لمسألة (الطواغيت) عند السلفية الجهادية، فقد جاءت فيها عبارات موهمة -دون قصد منه- فأوردت فيها بعض النقولات عن علماء السلفية الجهادية لإزالة اللبس.

وللتفريق بين تعليقاتي وتعليقات الدكتور فقد كنت أقدم للتعليق بعبارة [قلت -ذروة السنام-:....]. وسبب حرصي على إزالة اللبس الحاصل كون الدكتور وفقه الله يذكر مراراً أنه يفسر الأمور بحسب نظرة السلفية الجهادية لها لا بحسب نظرته هو. والله الموفق.

أسأل الله عز وجل أن يجزي الدكتور أكرم حجازي خير الجزاء وأن يوفقه لكل خير وأن يحفظه من شياطين الإنس والجان، وأن يجعل أعمالنا وأعماله خالصة لوجهه الكريم صواباً على الوجه الذي يرضى..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين...

ذروة السنام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

m

في يوم جمعة من أواخر الثمانينات من القرن الماضي، كنت واقفا أمام مقر عملي وقريبا من المسجد في إحدى البلدان العربية رفقة أحد الزملاء، وأمام ناظرينا وعلى مقربة من موعد الصلاة، توقفت شاحنة صغيرة وهي تقل مجموعة من الشباب الملتحين وهم يرتدون جلابيب بيضاء، ثم بدؤوا يترلون من الشاحنة بصعوبة ليقع بعضهم أرضا أو ينفلت الآخر فيمسك به زميله وثالث يتلمس الأرض بقدمه كما لو أنه يخشى السقوط! وبينما أراقب الموقف وكزني زميلي في خاصرتي ساخرا: أهؤلاء سيحررون فلسطين؟ وللحق فقد ضحكت من المشهد وقهقهت وقلت له: أتراني أخالفك الرأي؟

في تلك الأيام، وقبل عشرين عاما على وقوع المشهد، لم تكن السلفية الجهادية، التي كانت تخطو آنذاك خطواتها الأولى، لتثير كثيرا فضول الباحث أو المراقب، و لم يكن أحد ليصدق أو يتخيل أنه سيأتي يوم يمكن أن يهتز فيه العالم بأسره من فعل هؤلاء الذين كانوا في حينٍ ما موضعا للسخرية والآن هم في دائرة صناعة الحدث العالمي، وفي دائرة القلق العالمي، بل وفي دائرة الحرب العالمية على ما يسمى مكافحة الإرهاب.

كيف ينتظمون؟ لا أحد يعرف، من هم؟ لا أحد يستطيع تتبعهم بسهولة، كيف يتجندون ويتكاثرون؟ هي مشكلة المشاكل، من يدعمهم ويمولهم بعد تجفيف منابعهم؟ الكل يخمن ويتنبأ، ما هي أطروحاتهم واستراتيجياتهم؟ قلَّ من يعلمها أو يعبر عنها خلا الأعضاء والأنصار وبعض المراقبين ممن يعدون على الأصابع، ونسبياً الباحثون الذين غفلوا عن الظاهرة فباغتتهم على حين غرة وطعنت في كفاءتهم. وعليه فإننا نقر مسبقا أننا لسنا بصدد ظاهرة تقليدية مألوفة، ولعل في هذا بعض العزاء، فلا الغربيون المعاصرون ولا العرب ولا المسلمون في شتى أنحاء العالم ولا غيرهم أيضا عاشوا مثيلا لها. فما الذي يمكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يفهمه عالَم اليوم، وليس الأمس، بمسلميه ونصاراه وبوذييه وهندوسييه وملحديه من أطروحات السلفية الجهادية عن قضية التوحيد أو الراية أو الحاكمية أو سايكس- بيكو بينما هو غارق حتى ناصيته بالحداثة والعولمة ولغة السوق؟

بالتأكيد فهذه الأطروحات ليست موضع ترحيب ولا تتمتع بالكثير من المصداقية عند أقران السلفية الجهادية، أو أنها منبوذة، فهي بنظر البعض مستحيلة التحقق ومتطرفة عند البعض الآخر وخارجية عند ثالث وباعثة على الفتن عند رابع وسبب رئيس في تشويه الإسلام عند خامس ومشبوهة عند سادس وهكذا. ولكن هذه التوصيفات لا تختلف كثيرا بالنسبة للسلفية عما واجهه محمد بن عبد الوهاب ومن بعده أئمة الدعوة النجدية حين جهروا في دعوتهم إلى التوحيد، بل أنها لا تختلف عما واجهه الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه في أعقاب حادثة الإسراء والمعراج، فمن صدق حينذاك، غير قلة في مقدمتها الصحابي الجليل أبو بكر، بأن ما وقع كان حقيقة؟ فهل سيصدق أحد أن ما تفعله السلفية اليوم منطقي؟ أو مشروع؟ أو ممكن التحقق؟

لا شك أن ضربة ١١ سبتمبر وحرب العراق وما أعقبهما من ظهور الجماعات الجهادية وفي مقدمتها تيار السلفية الجهادية مثل فرصة ثمينة جداً لفهم الظاهرة، ولا شك أن الإعلام الجهادي الإلكتروني عبر عشرات الشبكات الجهادية قد وضع النقاط على الكثير من الحروف ونجح إلى حد كبير في استفزاز الباحثين والدارسين للاطلاع على حقيقة الخطاب السلفي الجهادي ليس من خلال الرموز فقط بل، وهو الأهم، من خلال رؤية الرواد والكتاب والعلماء وطلبة العلم والمنظرين وما يطرحونه من مواقف ورؤى. والحقيقة أن هذه الأطروحات، الواقعة في إطار حرب الأفكار الدائرة في ساحات المنتديات بين مختلف التيارات الإسلامية الجهادية وغير الجهادية، كشفت عن بعض مكنونات الظاهرة وكيفية التصدي لها بالبحث. لكن، يبقى الإشكال الرئيس في قدرة الباحث على الاستمرار في متابعة الظاهرة التي نؤكد، للمرة الثانية، بأنها مرهقة جدا ومهمة عسيرة للغاية خاصة ما تصدره الشبكات أو ما يدور في المنتديات من حوارات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ساخنة وتعبير عن المواقف التي تمثل، ولا ريب، رصيداً معرفياً خاماً وهائلاً باشتماله على أدق التفاصيل ومختلف التوجهات، ولعل معاينة كبريات القضايا التي تطرحها السلفية الجهادية لا ينبغي، منهجياً، أن يخرج عن هذه الساحات.

في مناسبات سابقة، كنا قد بحثنا في جذور نشأة السلفية الجهادية، وسلطنا الضوء على بعض أفكارها[1]، ولكن عذرية الظاهرة تتسبب دوماً، ودون رحمة، بإلقاء المزيد من التساؤلات الغزيرة عن ماهية هذه الأطروحات بحسب فهم السلفية الجهادية لها؟ ومن يصنع القيادة فيها؟ وبأية شروط؟ ووفق أية آليات؟ ولماذا تحتاج الأمة إلى قيادة؟ ورايـة؟ وما علاقة سايكس بيكو بنوعية القيادة؟ ولماذا ترفض السلفية تسليم القيادة لأية جماعة أخرى؟ أما لماذا هذا العناء فلأن الظاهرة لم يجر توصيفها حتى الآن، ولما يكون الأمر كذلك فهل بمقدورنا، كباحثين، تحليلها؟ ناهيك عن نقدها؟

الأكيد أن التساؤلات كثيرة وكبيرة، أما الإجابات فقليلة إن لم تكن نادرة أو خاوية إنْ وجدت، والأسوأ أن السلفية الجهادية ذاتها ما زالت تقدم خطاباً بلغتها هي لا بلغة العصر ولا بلغة العامة، وخطاباً، إذا ما قسناه بلغة العلم، فهو أقرب إلى خطاب النخبة منه إلى خطاب العامة من الناس بمن فيهم المثقفين، فإذا نادت السلفية، مثلا، بمقاومة "الطاغوت" أسقطته الغالبية حصراً على الحاكم وحده وعدّته خروجاً على الإمام، وإذا نادت بمحاربة "سايكس – بيكو" رأت فيه العامة والخاصة فتنة ورجعية وخروجا عن التحديث وسنن التغيير، وإذا ربحت معركة وصفوها بالإرهاب وإذا خسرتها حملوها المسؤولية، ومع كل هذه التناقضات تستمر السلفية الجهادية كظاهرة في تحديها دون أن تلتفت كثيرا لما ينتظرها، هكذا هي في أفغانستان والعراق ولبنان والشيشان وباكستان ... وبصورة تبعث على الدهشة فعلا حيثما وجدت، فما من جماعة جهادية أو حركة تحرر سابقة عليها اشتغلت بنفس الطرق والأدوات ماضيا وحاضرا، ولعلنا كنا نسمع ونراقب

[1] في دراستين سابقتين للباحث ثمة محاولة استكشافية في المحاور الأولى لبعض الأفكار الهامة لدى التيار الجهادي. العالمي، وينصح بالعودة إلى: (١) رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية – صحيفة القدس العربي، أربع حلقات ابتداء من ٢٨ – ٣١ /٢٠٠٦/٩ و (٢) الصين تحت مجهر السلفية الجهادية – صحيفة الوقت البحرينية، العدد ٣٢٢ - ٣٢٦، خمس حلقات ابتداء من ٢٠٠٧/١/٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الدوام، ولّما نزل، عن محاولات سياسية من جماعات جهادية ووطنية تبدي استعدادها للمفاوضات ولو بشروط بينما لم نقع على أية مبادرات من هذا النوع من قبل السلفية الجهادية اللهم تلك التي لا تخلو من إهانة للقوى الغازية وبشروط عسكرية صرفة أو شرعية[1].

1 كالهدنة التي عرضها بن لادن على العالم الغربي والتي وردت في شريط فيديو بتاريخ ١٧ أو ١٨ /٢/٢٠٠٦، أو دعوة أبو عمر البغدادي (أمير دولة العراق الإسلامية) للقوات الأمريكية وحلفائها إلى الانسحاب أفرادا دون معداتهم وأسلحتهم الثقيلة من البلاد في خطابه "وقل جاء الحق وزهق الباطل"، تسجيل صوتي ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحور الأول: لغة السلفية الجهادية في مسائل معينة

بداية لا بد من الحسم بأنه لا يهمنا مطلقاً أن نقبل أو نرفض لغة القوم بقدر ما يهمنا معرفة المعنى وما ترمي إليه حقيقة، إذ أن الظروف لا تتيح لنا أكثر من التوصيف والتحدث بلغة الظاهرة علناً نفهم بعض ما تشي به من مضامين ما زالت خبيئة أو أنها عصية على الفهم خاصة وأنها تُطرَح بلغة العلم الشرعي فيما الغالبية الساحقة من الأمة بعيدة عن العلم بعقيدتها أو فهم مراميها، فلنتحدث إذن بلغة ميسرة قريبة من الأفهام، مع التأكيد على أننا لا نرى غضاضة في استخدام أدوات تحليل من شأنها أن تساعد على فهم الظاهرة دون أن يعني ذلك بأي حال من الأحوال المس بجوهر المسائل المطروحة أو إحداث أي خدش يقلل من قيمة التوصيف.

أولا: ثقافة التوحيد:

يردد الشيخ أسامة بن لادن حكمة تقول: "من أصعب المهمات توضيح الواضحات". ولعل أصعب قضية في عقل السلفية الجهادية وأثقلها على المسلم هي قضية التوحيد، إذ ما من قضية يعادل وزرها وزر التوحيد. هذه القضية، بداية، تعني في اللغة الإفراد والتفرد الذي لا نظير له ولا شريك، وفي الاصطلاح الديني هو الشهادتان وتحقيق مقصودهما، وأول الأركان الخمسة، ويقسم إلى ثلاثة أقسام:

- توحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والإحياء والإماتة، ونحو ذلك.
- توحيد الألوهية، وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله كائنا من كان، ويمكن أن يعرَّف بأنه: توحيد الله بأفعال العباد، وهذا النوع هو الذي وقع فيه الخلل، ومن أجله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، وخلق الخلق، وشرعت الشرائع، وفيه وقعت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم.

- توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات عبر:

(١) إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو ما أثبته له الرسول صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات من غير تحريف لها أو تأويل لمعناها أو تعطيل لحقائقها أو تكييف لها، و

(٢) تنزيه الله عن كل عيب، ونفي ما نفاه عن نفسه من صفات النقص.

ولكن في الواقع ماذا نفهم من التوحيد غير ظاهر القول؟ بل ما هي العلاقة بين التوحيد والواقع المعيوش؟ وإذا ما طبق المفهوم على السياسة والاقتصاد والثقافة والجهاد وغيرها من دروب الحياة الاجتماعية والدينية فهل سيختلف الأمر؟ وهل سيكون للتوحيد معنى مختلف عما هو كائن؟

لو سألت مسلما سؤالا بسيطا: ما هو دينك؟ لأجاب على الفور: إنه الإسلام، ولو أردت استفزازه فاسأله: هل تقبل أن تكون نصرانيا أو يهوديا؟ ذلك أن الوجه الآخر للتوحيد هو الشرك. ومن يتخذ من التوحيد دينا له فلأنه يدرك قطعا{ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } (لقمان ١٣)، وعليه فإذا ما تلقى مسلما، أيا كان تدينه، وصفا له بالنصراني أو اليهودي فهو، في الواقع، كمن تعرض لشتيمة وإهانة من العيار الثقيل، ولعلي أذكر حادثة وقعت في إحدى حافلات النقل العام في الجزائر حين صعد أحد المخمورين إليها وهو يتأرجح يمنة ويسرة على الركاب حتى هوى على السائق سقوطا فاغتاظ وهمره موبخا إياه على سكره قائلا:" راك يهودي؟"، بمعنى هل أنت يهودي؟ فما كان من الرجل إلا أن جن جنونه وخرج عن كل طور وهو يشتم ويصيح ويعربد محتجا على الوصف ومرددا عبارة "أنا مسلم موحد، أنا كافر؟ أنت اليهودي ... أنا موحد ... أنا موحد ... أنا أقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا إله إلا الله وأنت تقول عني يهودي ... ينعن بوك يا وِلْد ..."، وفي المقابل، إذا اختلف أحدنا مع الآخر أو طغى أو غضب ترى من حوله يتطوعون لزجره وإعادته إلى جادة الصواب بالقول: "وحد الله" أو "صلي على النبي".

هاتان صورتان تعكسان، ولا شك، مكانة التوحيد في نفسية الفرد، لكن هل يمكن القول أن الأمة على توحيد خالص؟ سؤال يصلح للبحث بامتياز، أما من حيث المبدأ عامة ومشاهد الحياة الاجتماعية والثقافية اليومية خاصة فليس من الصعب الإجابة عليه بالنفي، بل أن من يقرأ الكتب التاريخية في المائتي سنة الأخيرة من الحكم العثماني سيصاب بدهشة من فظاعة أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي سادت بين الناس، والتي وصلت في مناطق كثيرة خاصة في شبه الجزيرة العربية إلى ما يشبه الردة، فالفساد والرشاوى وأسعار الفائدة والابتزاز والسلب والنهب والإغارات القبلية والسمسرة والنفاق والكذب والزوايا والاستغاثة بالسحرة والمشعوذين والأموات والتبرك في القبور كانت علامات بارزة في حياة الناس الذين تعاملوا معها كما لو أنها عادات اجتماعية وحقائق راسخة خاصة وأننا نتحدث عما يشبه القيم التي عاشت بين الناس وبلغت من الزمن عتياً.

على أن أغرب ما في كَتَبَة هذا التاريخ أن الباحث قد لا يجد في متونها ولا حواشيها إنكاراً أو تلميحاً إلى مخالفة شرعية لا من شيخ ولا من مؤرخ ولا من عالم أو فقيه، ولولا بعض الحركات الإسلامية والدعوية كالوهابية في الجزيرة وغيرها في السودان ومصر لكان حقا على المرء أن يتساءل فعلاً: أوَلم يشعر هؤلاء الناس من الأجداد أن الشرك يداخلهم من كل ناحية؟ وأنهم باتوا، في ضلالاتهم وبدعهم، أقرب ما يكونوا إلى الشرك من قربهم إلى التوحيد؟ وهل يمكن الحديث في ظل هذا النمط من الحياة عن مجتمع إسلامي أو أمة مسلمين؟

الحقيقة لمن يطلع على مجريات الحياة الاجتماعية العربية في أواخر الحكم العثماني سيغلب عليه الشعور وكأنه يقرأ تاريخا لمجتمعات وثنية أكثر منها مجتمعات إسلامية. فأي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوع من التوحيد هذا الذي يجعل أهله ممن قست قلوبهم وغلظت طباعهم وجَلُفَ سلوكهم؟ بينما الدين المعاملة؟

إذن لعل الأمة[1]، ومنذ قرون من الزمان، تبدو أبعد ما تكون عن التوحيد رغم أنها عاشت في خضم غطاء إسلامي ممثلا بالخلافة، فكيف يكون حالها وهي خارج هذا الغطاء منذ نحو قرن من الزمن؟ ألا ينطبق عليهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين قال:"إذا تبايعتم بالعينة، وتبعتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذُلاً لا يرفعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم"؟

في المقابل فلعل أهم ما أنجزته السلفية الجهادية في التاريخ الراهن لهذه الأمة أنها أعادت إحياء وتفعيل التوحيد كأهم مصطلح شرعي على الإطلاق لا يوازيه في المكانة والعمل حتى إعلانها للجهاد. فهي تقيس كل سلوكها وفعالياتها طبقاً لمفهوم التوحيد ودلالاته وشروطه بوصفه **الباروميتر** الذي سيؤدي العمل به إلى إعادة استنبات جديدة لكل التشريع الإسلامي بحيث يكون بديلا عن كل التشريعات الأخرى ويسعى لخلق ثقافة مغايرة على النقيض من كل الثقافات والأيديولوجيات التي جلبتها معها سايكس – بيكو.

لا ريب إذن أن عقيدة التوحيد ينبغي أن تكون مقدمة لأية فعاليات تقع على مستوى الأمة باعتبارها منهاج حياة وليست قولاً في اللغة ولا مجرد اصطلاح في الدين، ذلك أن الزج بالمفهوم في خضم الحياة اليومية سيقدمه باعتباره **الفيصل** في الحكم على النوازل التي قد تصيب الفرد والجماعة والأمة مثلما هو الفيصل في الحكم على سلامة الاعتقاد والوطن والمقدسات والحقوق والواجبات، وهو الفيصل في الحكم على كل فعل أو سلوك، وهو

1 أحد الباحثين الإسلاميين ممن يهتمون بمعالجة المفاهيم والمصطلحات الشائعة يتساءلون عن ماهية الأمة كمفهوم متداول، لكنه ليس معروفا حتى الآن محتواه، ويرى أن "الأمة" من أكثر المفاهيم التي "تعرضت للتخريب والتدمير منذ قرنين من الزمن (حتى)أصبحنا لا ندري من نحن هل نحن ننتمي إلى أمة واحدة أم أمتين أم أمم شتى؟ وهل نحن امة عربية أم أمة إسلامية؟ وهل نحن قوميون أم إسلاميون؟ وهل نحن اشتراكيون أم رأسماليون أم ليبراليون؟ وهل نحن مسلمون أم علمانيون؟ أم هل نحن خليط من كل هؤلاء؟". راجع مقالة: محمد أسعد بيوض التميمي: "مفاهيمنا ومُصطلحاتنا: مفهوم الأمة والهوية". على موقع مفكرة الإسلام:

.http://www.islammemo.cc/article1.aspx?id=50417

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفيصل في الاجتماع والانقسام، بل هو الفيصل في تقرير الأمور لكل الموجودات من خلق الله وما ينتج عنها. **وهذا يعني أنه ما من مرجعية يمكن أن يعتد بها غير التوحيد وإلا فهي باطلة شرعا وقاصرة عقلا**، وهذا ينسحب على الأيديولوجيات والسياسات ذات المصادر الوضعية. هذا هو الاعتقاد عند السلفية الجهادية ودونه "زخرف القول والحياة الدنيا". لذا فإن أول ما تعنيه السلفية بالقول أن كل سلوك يخالف عقيدة التوحيد هو بالضرورة سيكون واقعا خارج التوحيد بقدر ما، وفي هذه الحالة فصاحب السلوك المخالف يمكن أن يُحكَم عليه، بحسب قربه أو بعده عن التوحيد: بالآثم أو العاصي أو الفاجر أو الفاسق أو الظالم أو المفارق للجماعة أو الكاذب أو المنافق أو الضال وصولا إلى المرتد والكافر.

بطبيعة الحال تنتظر السلفية الجهادية من إسقاط المفهوم على الحياة الاجتماعية والاقتصادية تغيرا جوهريا في أنماط المعيش والتفكير والسلوك الإنساني والسياسي والاقتصادي والثقافي، بحيث يغدو التوحيد معيارا لسلامة الإيمان وحسن السلوك وعقلانيته بما أنه لن يصدر عن الهوى بقدر ما سيتقيد بمتطلبات الحكم الشرعي، وإذا كانت سايكس – بيكو تهيمن على الأمة عبر تجزئتها وتفكيكها وغزوها بثقافات وافدة واستباحة أراضيها ومقدساتها وحرماتها والمساس بدينها وعقيدتها وفرض الأنظمة والقوانين الوضعية عليها[1] وخلق أنماط ثقافية ومعيشية تلائمها فإن تفعيل ثقافة التوحيد سيكون بالمرصاد لكل مخرجات العقلية الوضعية ومن يدافع عنها أو يروج لها أو يحتمي بها. وسيجد المسلم نفسه، تحت سقف التوحيد، مدعواً للاستجابة{ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ } (الأنفال ٢٤) وليس لصناديق الاقتراع والصراعات الفكرية والحزبية والمفاوضات والمساومات والتحالفات المشبوهة والمصالح التنظيمية والحزبية، **كما سيجد نفسه مدعوا للاختيار بين ثنائيات** القانون الإلهي أو القانون الوضعي، والعدالة الاجتماعية أو الظلم، والاستقامة أو الفساد، والجهاد والتضحية أو السلامة والذل،

[1] د. أيمن الظواهري، المعادلة الصحيحة، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، ٢٣ / ١ / ٢٠٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتواضع أو الكِبْر، والصدق أو الكذب، والصرامة أو الميوعة، والحق أو الباطل، وهكذا وصولا إلى التوحيد مقابل الشرك.

ورغم أن الحقيقة الصارخة في أيامنا تثبت أن التوحيد غدا، منذ زمن ليس بالقليل، إشكالية عصية على الفهم والالتزام لكن لا مفر منها ولا بديل عنها ولا يمكن المساومة فيها أو عليها، إذ أن التوحيد عقيدة ليست من صناعة البشر ولا الظروف، ولأنها عقيدة ربانية خالصة فهي من الحسم بحيث لا تتقبل أية اجتهادات أو رؤى أو تأويلات خارج ما تفرضه من شروط، ولا تقبل بأية مبررات تاريخية تجاه هذه الجماعة أو تلك، ولا تتسامح مع أية مواقف سياسية إلا بإخضاعها حكما لعقيدة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الشرك والكفر والطواغيت، **وعليه فإن التوحيد بالنسبة للسلفية هو عقيدة كالسيف القاطع**، تقسم ولا تقبل القسمة، وتأمر فلا تقبل نفاقا ولا كذبا ولا إفكاً ظاهرا أو باطنا، وتَقهَر ولا تُقْهَر، وتفضح كل تُقيا ولا تبالي، وتفرض ولا تجادل، وتبقى هي وما دونها من عقائد وأيديولوجيات تزول، أما من اختار الجهاد فله القول الفصل:{فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (العنكبوت ٦)[1] .وأما من تأول وثَقُل عليه التوحيد فلن يفيده لَيّ النصوص ولا العبث بها حتى لو نجح في مسعاه، إذ أن: {الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ} (الكهف٢٩)، ولأن"الحق أحق أن يتبع"، فالدوران ينبغي أن يتجه حيث "تدور العقيدة"[2] وليس حيث تستدعي الظروف والمصالح وموازين القوى.

هذا المنطق الصارم يمكن إسقاطه على الاقتصاد والسياسة والاجتماع والعلم والأخلاق والمعاملات والعلاقات الاجتماعية والروابط القرابية ... والمقارنة مع منطق الوضعية، ولكننا سنتتبعه هنا فقط في ساحات الجهاد حيث يجري تفعيله على نطاق واسع باتساع الساحات، وسنلاحظ أي نوع من العقليات تربي السلفية الجهادية أبناءها عليه، وأي عقليات تنتج مقارنة بعقلية الجهاد والنضال الوطنيين:

[1] في هذا السياق يمكن المقارنة بمواقف رموز السلفية الجهادية وقادة تنظيم القاعدة عبر عشرات الإصدارات والكتابات ابتداء من أسامة بن لادن وانتهاء بأبي عمر البغدادي وخاصة أشرطة الظواهري وما تحتويه من مواقف شرعية تجاه الأحداث.

[2] شريط "العلم للعمل"، وهو الشريط الذي بثته القاعدة بمناسبة الذكرى الخامسة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر عبر مؤسسة السحاب بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٧. واشتهر بـ "شريط التوثيق لأحداث سبتمبر".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ } (الأنفال ٦٧).
- { أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ } (الفتح ٢٩).
- { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (التوبة ٧٣).
- { أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} (الإسراء ٥) .[1]
- { وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ} (آل عمران ١٢٦).
- [لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ] (حديث نبوي صحيح).

إذن التمحيص عبر المزيد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[2] يحيلنا حتماً إلى العقلية السائدة في التعامل مع الأعداء، وهي عقلية جهادية صيغت بموجب المرجعية الدينية لتكون محملة بسمات الغلظة والبأس والشدة والذبح والإثخان في الأرض بالنسبة للأعداء يقابلها عقلية اللين والرحمة بالمؤمنين، والملاحظ بجلاء أن النبي ذاته كان أول من التزم بالتعليمات الإلهية وأول من أُمر:

- بأن يهدد بالذبح قبل أن يخوض معركة؛
- وأن يثخن في الأرض وهو في المعركة أولا قبل أن يأسر من العدو؛
- وأن يجاهد بالغلظة؛
- ويتحلى بالشدة والبأس على الأعداء؛
- ويترحم بالمؤمنين؛

فمن الأولى بالمسلمين والمجاهدين، تأسيا بالمنهج النبوي، وليس اجتهادا ولا بدعة، أن يلتزموا في ميادين المعارك وخارجها بالتوجيهات الربانية بديلا عن أية مرجعيات أخرى، ولما يكون هذا هو الأساس في التعامل مع العدو فكيف يصح لهم، بحجة الاجتهاد وتعدد

[1] في هذه النقطة بالذات يقرر مفكر جهادي بارز ما يلي: " إن لم نكن أشداء في جهادنا وتملكتنا الرخاوة كان ذلك عاملاً رئيسيًّا في فقدان عنصر البأس الذي هو من أعمدة أمة الرسالة ، فإن الأمة ذات البأس هي الأمة التي تستطيع أن تحافظ على ما تكتسبه من مواقع ، وهي الأمة التي تخوض الأهوال وهي ثابتة ثبات الجبال وهذه المعاني فقدناها في هذا الزمن "، أبو بكر ناجي، إدارة التوحش، ص ٣١.

[2] كثيرة هي الشواهد على السلوك النبوي في التعامل بشدة مع الأعداء، وكنموذج أوسع يمكن الاستفادة من كتب فقه الجهاد التي جمع مصادرها الشيخ حسين بن محمود، فضلا عن رده على الشيخ سلمان العودة في رسالة هذا الأخير بعنوان: "سلمان العودة يوجه رسالة إلى أسامة بن لادن" في ١٥ / ٩ / ٢٠٠٧، ردا على كلمته في الذكرى السادسة لهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١. بخصوص خبر رسالة "العودة" فيمكن مراجعة موقع الإسلام اليوم على الرابط:
http://www.islamtoday.net/albasheer/show_news_content.cfm?id=73974، أما رابط الرد:
http://www.alekhlaas.net/forum/showthread.php?t=82622

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أشكال الجهاد[1]، بأن يلجوا باب التفاوض والمساومات والديمقراطيات ويعرضوا عن الجهاد وهم في قلب المعارك وصولات الأعداء في بلادهم؟

لا شك أنها عقلية لا يمكن أن تنتجها ثقافة سايكس – بيكو أبداً بقدر ما تنتجها عقلية التوحيد، وحتى هذه فإن تطبيقاتها في التجنيد فريدة إلى حد ما خصوصا إذا عرفنا أن أغلب مقاتلي السلفية الجهادية هم من صغار السن أو ممن لم يخوضوا تجارب أيديولوجية علمانية أو إسلامية وطنية وبالتالي فلم تتلوث عقولهم و لم تهرم. إنها عقلية العذارى الذين يتقبلون ثقافة التوحيد[2] ويقدرون على تحملها أكثر من أولئك الذين علقت برؤوسهم أيديولوجيات ورواسب على الأغلب ستحد من نقاوة توحيدهم وقدراتهم على الالتزام بأسخن مخرجاته، فقد يتحمل هؤلاء دخول المعارك التقليدية بالأسلحة النارية ولكن أنَّى لهم أن يتحملوا معارك "الذبح" و "الغلظة" و"الشدة" و "البأس"؟

كانوا يقولون: فقط اصمدوا قليلا قدر يومين، وماذا بعد؟ بعدها ستجدون العالم كله يناصركم ويهب لنجدتكم، فلا صمد أحد ولا وصلت نجدة، ولكن هذه هي عقلية سايكس – بيكو وهي تستنجد بالروس أو بالشرعية الدولية أو بأحرار العالم ناهيك عن الأشقاء والأصدقاء، ولا ريب أنه ثمة فرق بين عقلية العمل والدعاء والتوكل على الله بصيغة {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} (التوبة ١٠٥)، أو {وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ} (الأنفال ١٠) وبين عقلية الاتصالات السياسية والوساطات والتدخلات والشرعية الدولية. وثمة فرق أعظم بين ثقافة الجهاد وثقافة المقاومة والنضال[3]،

[1] أطرف ما في الخلاف بين السلفية الجهادية والجماعات الأخرى أن الأولى تركز على جهاد الدفع في الظروف الراهنة من بين أشكال جهادية أخرى لا تجدي نفعا في دفع صائل الأعداء، أما الجماعات الأخرى فيمكن أن تحتج بممارسة كافة أنواع الجهاد إلا جهاد الدفع. وإذا ما ووجهت بأدلة شرعية دامغة لجأت إلى الدفاع عن نفسها بمبررات سياسية. والأطرف أن هذا النوع من الخلافات يمكن إسقاطه على ما تعتبره السلفية علماء السلاطين وفقهاء الراحة والمسكنة ورغد الحياة وليس فقط على الجماعات الإسلامية بما فيها الجهادية.

[2] لأبي بكر ناجي رأي لافت ومثير في الوقت نفسه فيما يتعلق بهذه النقطة، إذ يقول في "إدارته": " على فرض أننا نحتاج لمعركتنا الطويلة حتى تنتهي كما نريد - بإذن الله - نصف مليون مجاهد - افتراضاً - فإن إمكانية ضم هذا العدد من أمة المليار أسهل من ضمهم من شباب الحركة الإسلامية الملوث بشبهات مشايخ السوء ، فشباب الأمة على ما فيهم من معاصٍ أقرب للفطرة , وخبرات العقود السابقة أثبتت لنا ذلك ، أما الأحداث الأخيرة فقد وضح للجميع أن العامي بفطرته تفاعل معها أفضل بمراحل من قُعَدَة الجماعات الإسلامية الذين سلموا دينهم لأحبار ورهبان السوء". نفس المصدر السابق، ص ٢١.

[3] ثمة مقالة تجتهد في بيان بعض الفروق بين مفهومي الجهاد والمقاومة، إذ يشير كاتبها إلى: " إن معظم الثورات المُسلحة والبنادق المُقاتلة تتحكم بها وتُوجهها إما عقائد دينية أو أيديولوجيات سياسية لها أهداف يسعى أصحابها إلى إنجازها بالقوة وهُم يُنظرون لهذه الأهداف وكيفية تحقيقها مُستخدمين بتنظيراتهم مفاهيم ومصطلحات تعبر عن مضمون عقيدتهم وأيدلوجيتهم التي يحملونها ...فكل أيدلوجية سياسية أو عقيدة دينية لها مُصطلحاتها ومفاهيمها الخاصة التي تعبر عن منظومتها الفكرية، ومن خلال هذه المفاهيم والمصطلحات نستطيع بسهولة تحديد ماهية هذه العقيدة إن كانت دينية أو أيديولوجية سياسية"، مقالة: محمد أسعد بيوض التميمي، "في فقه المعركة: جهاد في سبيل الله وليس نضال ومقاومة"، http://islamouna.info/dnn/MemberDetails.aspx?Id=35.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفرق مماثل بين عقلية تستنجد بالله وتستمد النصر من عنده غير آبهة بالنتائج، بعد الإعداد بقدر الاستطاعة، وأخرى تحسب حساباً دقيقا أو مغلوطاً لموازين القوى السياسية والعسكرية وما إذا كانت الظروف ملائمة لخوض معركة أم لا.

هذا المنطق الصارم أيضا يمكن استعماله لملاحظة ردود الفعل على فعاليات الجهاد بالمواصفات السلفية، ذلك أن أقل الاتهامات الموجهة للمجاهدين هي الدموية والقتل والإجرام وسفاكو الدماء[1]، فما تقوم به مثلا دولة العراق الإسلامية والقاعدة ليس من الجهاد في شيء وليس من الأخلاق الإسلامية، أما لماذا؟ فلأن العدو إذا كان يسمح لنفسه بالقتل العشوائي وارتكاب أبشع جرائم الحرب ضد الإنسانية ويستعمل أشد الأسلحة فتكاً بما فيها المحرم دوليا فهذا شأنه! أما نحن فأخلاقنا الإسلامية وديننا لا يسمحان لنا بمجاراته في جرائمه ولا بالتشبه بأفعاله، لذا علينا ألا نترلق إلى أخلاقه!، وكأن خصوم السلفية، بهذا الخطاب، ينتظرون منها جهاداً رقيقا ناعما يستجيب للغة العصر ويرأف بالأعداء!، أما { فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } (البقرة ١٩٤) فهذه مسألة فيها ما يقال. وغني عن البيان أن مثل هذه الردود لو عملت بها السلفية الجهادية لما كان هناك جهاد إلا بمواصفات سايكس - بيكو الوطنية وهو ما تعده السلفية خارج التوجيهات الدينية ومخالفا للشرع وحينها ما من معنى للغلظة والشدة والإثخان[2].

لكن الخلاف بين الجهاد الوطني والجهاد السلفي لا يتوقف عند عقلية الشدة والبأس بقدر ما يمتد ليصل إلى تخوم جبهة الأعداء، فالعدو عند السلفية هو عدو سواء كان محليا أو أجنبيا، ولأنه كذلك وحالة العداء قائمة فلا تصالح معه ولا مهادنة، لكنه عند الخصوم يمكن أن يكون بريئاً وضحية كما هو الحال بالنسبة لضحايا أبراج التجارة العالمية أو

[1] يمكن المقارنة، كمثال، مع "سلمان العودة يوجه رسالة إلى أسامة بن لادن"، مع ملاحظة نبذ الرسالة للجهاد وتحميل المجاهدين مسؤولية الحروب الدائرة والفتك بالشباب وزجهم بالسجون وتضرر الدعوة ومطاردة العمل الخيري والدعاة مقابل غياب ملفت لأي نقد للقوى المعادية كما لو أنها بريئة مما يجري في العراق وغيره، مصدر سابق.

[2] لاحظ الحسم الذي يصر عليه "ناجي" في المسألة: " لا يمكن أن يستمر القتال وينتقل من مرحلة إلى أخرى إلا إذا كانت مرحلة البداية فيه مرحلة إثخان في العدو وتشريد به، بل يحتاج لهذه الشدة في المراحل الأخرى في كثير من الأحيان"، راجع: أبو بكر ناجي، إدارة التوحش، مصدر سابق، ص ٣١. ويمكن ملاحظة التطبيقات في هذا السياق في ضوء الإعلان عن دولة العراق الإسلامية التي جاءت كمحصلة لما سبقها من مرحلة النكاية حيث الإثخان والبأس ولكن دون أن يعني هذا أن المرحلة اكتملت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفجيرات لندن ومدريد وبالي وغيرها أو حتى جنود الاحتلال الأمريكي أو حين دمرت جماعة التوحيد والجهاد مقر الأمم المتحدة في العراق. وفي المحصلة فإن مثل هذه الأحداث التي خفت حدتها ظلت تستعمل كمبررات للطعن في مشروعية الجهاد العالمي. لكن الأطروحة السلفية تؤكد أن الخلاف قائم ليس على شرعية الأهداف من عدمها بل على مضمون التوحيد نفسه وما يفرضه من اختيارات والتزامات بعكس ما تفرضه المرجعيات الوطنية وتأويلها للتوحيد.

فبعض الجماعات الإسلامية ناهيك عن العلمانية أصبحت مغرمة بعقلية سايكس – بيكو لدرجة أنها لم تعد قادرة على مغادرتها، والأعجب أنها باتت خيارها الذي تدافع عنه بشراسة وتبحث لها عن موطئ قدم وشرعية في إطاره الأمر الذي يعرضها إلى نقد شديد من السلفية الجهادية وهي تأخذ عليها مثلا:

- التفريط بالحاكمية؛
- وتضييع عقيدة الولاء والبراء؛
- والتخلي عن الأهداف التي وجدت من أجلها؛
- وحصر نفسها في أطر ضيقة؛
- وتبعاً لذلك السعي للتفاهم مع أعداء الأمة والدين إن لم يكن التحالف معهم؛ وبالتالي فبأي حق ومضمون تعرِّف عن نفسها كجماعة إسلامية؟[1].

وفي السياق من الجدير الإشارة إلى أن مسألة التوحيد تشكل جوهر الخلافات التي تعصف بالجماعات الجهادية في العراق على خلفية مستقبل البلاد وبالتحديد بين تيارات السلفية الجهادية من جهة وتيارات الجهاد ذات النزعة الوطنية من جهة أخرى. ويمكن القول بصريح العبارة أن كل الصراعات والاتهامات والتحالفات وردود الفعل

[1] هذه بعض الاتهامات التي وجهها الظواهري لحركة حماس فيما عرف بـ"خطاب النعي" حين قال: "يؤسفني أن أواجه الأمة المسلمة بالحقيقة فأقول لها:عظم الله أجرك في قيادة حماس "، وقد وردت نفس المآخذ على حركة حماس وجماعة الإخوان المسلمين وفروعها الدولية في أشرطة أخرى، ومبدئيا يمكن مراجعة: د. أيمن الظواهري، "فلسطين شأننا وشأن كل مسلم"، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، ٢٠٠٧/٣/١٢. وكذا فعلت دولة العراق الإسلامية فيما يتعلق بالحزب الإسلامي في العراق كما فعل أبو عمر البغدادي في خطابه الصوتي "وقل جاء الحق وزهق الباطل"، (مصدر سابق)، ثم في خطابه الأعنف "ويمكرون ويمكر الله"، وكذا أبو حمزة المهاجر في خطابه "قل موتوا بغيظكم" وهو يتهم الحزب الإسلامي بالردة ويصف جماعة الإخوان المسلمين بذات "التاريخ النكد" في العالم الإسلامي ويتهمها بتعميم مذهب الإرجاء، مصدرين سيرد ذكرهما لاحقا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحملات الإعلامية وغيرها أياً كان محتواها أو آلياتها إن كان لها من منطق فهو منطق واحد لا يتجاوز مسألة التوحيد بأي شكل من الأشكال، إذ أن السؤال المطروح هو: لماذا نقاتل؟ ولأية أهداف؟[1]

- إذا كان الجواب، بلغة السلفية، لتعميم جهاد التوحيد وتحرير بلاد المسلمين وإقامة حكم الله في الأرض فهذا يعني أن الجهاد ماض لن يتوقف بقدر ما سيعمل على عبور الحدود، فكما في العراق وأفغانستان والشيشان وغيرها موحدون ففي فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ومصر والمغرب ونيجيريا وإندونيسيا والفلبين موحدون أيضا، فلمن يُترَك هؤلاء؟ وبأي نوع من التوحيد يمكن إرجاؤهم وإهمالهم؟
- أما إذا كان الجواب جهاد التحرير بغرض طرد الاحتلال واستعادة العراق لحريته وكفى الله المؤمنين شر القتال فمن الطبيعي أننا إزاء منظومتين فكريتين متناقضتين[2] ليس وقوع الصراع بينهما غريبا خاصة وأن التوحيد مسألة لا تقبل القسمة بحيث يمكن توزيعها وفقا لاحتياجات ومتطلبات هذه الجماعة أو تلك. فالتوحيد إذن واحد، وما ينطبق على هذه الجماعة أو البلد ينطبق بالضرورة على ذاك أو تلك.

غير أن أهم الملاحظات على تعميم ثقافة التوحيد لدى السلفية الجهادية تكمن فيما تتلقاه من اتهامات بالتكفير لدرجة أن الخصوم باتوا يلمزونها أو يجهرون صراحة بوصمها وروادها بـ "التكفيريين". على أن القاعدة تنفي هذه التهمة جملة[3]. وحقيقة الأمر أن مسألة التوحيد بحد ذاتها هي مصدر الاتهامات باعتبار الكفر أو الشرك رديفاً لها، ولعل ساحات المنتديات في الشبكات الجهادية هي من ساهم مساهمة فعالة بتعميم فكرة التكفير

[1] يمكن العودة في هذا السياق إلى خطاب القاضي الشرعي لدولة العراق الإسلامية أبو سليمان العتيبي في شريطه المرئي الأول بعنوان: "لماذا نجاهد؟"، ٢٠٠٧/٤/١٢.

[2] في السياق يمكن الإشارة إلى بيان دولة العراق الإسلامية الذي يسهب في بيان الاختلاف بين المنظومتين. راجع: " دولة العراق الإسلامية - بين الانحرافات المنهجية والثوابت الجهادية"، مركز الفجر، ٨-٢٧-٢٠٠٧.

[3] ثمة ردود عديدة وردت على ألسنة رموز القاعدة والسلفية الجهادية من بينها ما ورد على لسان الشيخ أسامة بن لادن في مقابلته المرئية مع الصحفي تيسير علوني في أفغانستان (أكتوبر عام ٢٠٠١) والتي لم تنشرها قناة الجزيرة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسبب المشاحنات الحامية بين الأعضاء والعجلة في إصدار الأحكام حتى على صغائر الأمور مع الإشارة إلى ما يراه الشيخ عطية الله وغيره اختراقات للمنتديات[1].

لكن هذه المشكلة التي غالبا ما يقع تجاوزها في ساحة ما يستعصي مواجهتها في ساحات أخرى أكثر أهمية خاصة حين تكون في الميدان الجهادي أو على تماس مباشر مع المجتمع. فبعض المنتسبين للسلفية الجهادية وصلوا مرحلة من الاعتقاد والسلوك تستعصي على الفهم فيما يتعلق بالتوحيد والكفر ومتطلبات الحياة اليومية، وإذا ما تعارضت قناعاتهم وأفهامهم مع العلماء والفقهاء من السلف فلا يجدون غضاضة من التنكر لهم وعدم الأخذ عنهم، وحتى فقه الضرورات لا يعملون به ولا يقيمون له وزنا فتراهم عالة على أنفسهم وأبنائهم وغيرهم خاصة وأنهم لا يعترفون بمسجد ولا بمؤسسة ولا بهوية ولا بجواز سفر ولا بفاتورة كهرباء أو ماء أو هاتف ولا بأية علاقات مالية متضمنة لمدفوعات ضريبية للدولة، ولو رغبوا في الزواج لفضلوه بلا عقد! بل أنهم لا يتوانون عن التكفير لأتفه الأسباب، وإذا فعلوا قاطعوا الآخر حتى لو كان من أقرب المقربين فلا يسلمون عليه ولا يدعون له ولا يجالسونه ولا يجادلونه لا بالحسنى ولا بغيرها، والحوار معهم منقطع، ولعل النبذ والعزل كان من نصيبهم لما تسببوا فيه من التنفير والأذى للعامة والخاصة وللدين، ومثل هؤلاء يتبرأ منهم حتى أنصار السلفية الجهادية لجلافتهم وتعنتهم وسوء معاملتهم وتطاولهم على المجاهدين وعلى مشايخهم[2].

واقع الأمر أن هذه الخلافات والردود والصور مبررة بما أنها تكشف حقيقة عن أن التوحيد في الأمة موضع خلاف بالنظر إلى اختلاف منظومات القياس لدى القوى الإسلامية ناهيك عن القوى العلمانية، وحتى أنه موضع جهل مدقع لدى الأفراد، فالأمة حتى هذه اللحظة لم تبلغ تحقيق التوحيد بعد، وليست على دراية به ويصعب التعويل

[1] الشيخ عطية الله، لقاء خاص مع مركز اليقين، وبحسب المركز فقد [أنجز اللقاء عبر المراسلة في العشر الأواخر من جمادى الأولى ١٤٢٨هـ/يونيو٢٠٠٧م]. وكذلك يمكن مطالعة قصيدة الشيخ حامد العلي عن "أشباح الانترنت" على موقعه: http://www.h-alali.info/q_open.php?id=6dc55ba4-543f-102a-b164-0010dc91cf69.

[2] يرجع البعض فهم ظاهرة التيار التكفيري إلى بعض طلبة العلم والمجاهدين ممن أخذتهم العصبية في السلفية وكأنها مذهبا وليس منهجا، ومثل هؤلاء تسببوا بأذى بالغ للجهاد والمجاهدين وحتى على مستوى الأمة، ويذكر السوري قولا لأحدهم يصفه بأعجب ما سمعه: "إن الجهاد يجب أن يكون سلفي الراية, وأن تكون قيادته سلفية التركيب, وأحكامه سلفية المنهج, وأن يكون كل شيء بالدليل.. ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة, ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء وإنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجهاد!!". وردت لدى: أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص ٩٥٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليها بالنظر لحجم التخريب الذي أوقعته الأنظمة السياسية والثقافات الغربية في عقولها[1]، ومع ذلك فالسلفية الجهادية ماضية في شدتها وغلظتها حتى لو كلفها ذلك حياة كل رموزها ومقاتليها، ولا يتسع المجال لذكر الكثير من الشواهد والاستدلالات على ذلك، لكن من الملفت للانتباه ملاحظة العبارة الطريفة التي قالها أبو حمزة المهاجر في خطاب له وهو يعقب على سياسات الحزب الإسلامي تجاه مشاركتهم في حكومة نوري المالكي وعلى الإخوان المسلمين في العراق وغيره: "لا نريد منكم شيئاً؛فقط دعونا والعدو فإن انتصرنا عليه فهو عزّ الدنيا والآخرة لنا ولكم، وإن قضي علينا فهي شهادةٌ لنا وتكونوا قد استرحتم منا ولن تلقوا الله بدمائنا"[2].

[1] أبو بكر ناجي، إدارة التوحش، مرجع سابق، ص ٢١.
[2] أبو حمزة المهاجر، تسجيل صوتي بعنوان: "قل موتوا بغيظكم "، ٢٠٠٧/٥/٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: "محاربة الطواغيت":

يحفل لسان العرب لابن منظور بعديد المعاني والدلالات المشتقة من كلمة "طَغى" التي تعني في أول معانيها "جاوز القدْر وارتفع وغلا في الكفر". ومن تصريفاتها اللغوية ومنها "الطاغوت أو الطواغيت"، وتنسحب على "الواحد والجمع والمذكر والمؤنث" من "الجن والإنس"، وتتخذ من المعاني أسماء ودلالات لها كـ "الشيطان" و "الكاهن وكل رأس في الضلال" و "الأصنام" و "الأحمق المستكبر الظالم" و "الذي لا يبالي ما أتى يأكل الناس ويقهرهم لا يثنيه تحرج ولا فَرَقٌ" و "من طغى بالكفر وجاوز الحد" و"هم عظماؤهم وكبراؤهم" و "الجبت والطاغوت" حيث ينسحب "الجبت" على أسماء بعينها مثل "اليهوديان حيي بن الأخطب وكعب بن الأشرف" فيما "الطاغوت" توصيف يمس "رئيس النصارى" كـ "ملك الروم".

هذه التوصيفات اللغوية غالبا ما يقع إسقاطها على الحاكم[1]، ففي كل مناسبة نجد دعوات تنهال على الحكام الطواغيت مصحوبة بسيل من الاتهامات بموالاة الكفار

[1] قلتُ –ذروة السنام-:معنى الطاغوت عند السلفية الجهادية هو معنى الطاغوت عند جميع علماء السلف.

وهذه نقولات عن بعض علماء السلفية الجهادية في معنى الطاغوت:
١- قال الشيخ عبد القادر عبد العزيز –فك الله أسره-: (فالقول الجامع في معنى الطاغوت بحسب الظاهر أنه كل ما يُعبد من دون الله، وأما على التفصيل فقد ورد في الكتاب والسنة النص على نوعين من الطواغيت: طاغوت العبادة وطاغوت الحكم:
أ) فطاغوت العبادة؛ ورد في قوله تعالى: {والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها} [الزمر: ١٧]، وهو كل ما عُبِدَ من دون الله من شيطان، أو إنسان حي أو ميت، أو حيوان، أو جماد من شجر أو حجر، أو كوكب من الكواكب، سواء عُبِدَ بتقديم القرابين له أو بدعائه أو بالصلاة له من دون الله، أو بطاعته وإتباعه فيما يخالف شرع الله. ويُقيَّد "ما عُبد من دون الله" بلفظ "وهو راضٍ بذلك"، ليخرج منه مثل عيسى بن مريم عليه السلام أو غيره من الأنبياء والملائكة والصالحين فهؤلاء عُبدوا من دون الله وهم لا يرضون بذلك فلا يُسمى أحدٌ منهم طاغوتا. قال ابن تيمية رحمه الله: "وقال تعالى: {ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون} [سبأ: ٤٠ – ٤١] يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك، وإنما أمرتهم بذلك الجن، ليكونوا عابدين للشياطين التي تتمثل لهم، كما يكون للأصنام شياطين، وكما تنزل الشياطين على بعض من يعبد الكواكب ويرصدها، حتى تنزل عليه صورة فتخاطبه، وهو شيطان من الشياطين. ولهذا قال تعالى: {ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون} [يس: ٦٠ – ٦١]، وقال: {أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو، بئس للظالمين بدلا} [الكهف: ٥٠]".
ب) وطاغوت الحكم؛ ورد في قوله تعالى: {يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت} [النساء: ٦٠]، وهو كل ما تُحوكِمَ إليه من دون الله من دستور وضعي أو قانون وضعي أو حاكم بغير ما أنزل الله سواء كان سلطاناً أو قاضياً أو غيرهما) أهـ.
٢- علق عليه أبو جندل الأزدي –فك الله أسره-: " فيتبين من كل هذا أن أمريكا طاغوت ومجلس الأمن طاغوت والأمم المتحدة طاغوت والشرعية الدولية طاغوت والحكومات المعاصرة كما مر طواغيت."أ.هـ [الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة]
٣- وقال أبو الحسن رشيد –قاضي الجماعة السلفية للدعوة والقتال- بعد أن ساق أقوال السلف في معنى الطاغوت: " بعد التعرف على معنى الطاغوت وصفة من يجري عليه مسمّى الطاغوت، نتعرّف على بعض الطواغيت مع شرح وجيز، على أن نرجئ الحديث عن الحاكم بغير ما أنزل الله في عنوان مستقل.." ثم ذكر منها:

أ- المشرّع من دون الله
ب- التشريع ذاته
ت- المحبوب لذاته من دون الله عز وجل
ث- الوطن والوطنية [عندما يُعقد الولاء والبراء على أساس الانتماء إليه ولحدوده، وتقسيم الحقوق والواجبات على هذا الأساس]
ج- الشعب [عندما يكون الشعب مصدر السلطات - بما في ذلك السلطة التشريعية - ويكون له الأمر والاختيار فيمن يحكم البلاد، والقانون الذي يطبق في الأرض، حتى ولو وقع اختياره على قانون الجاهلية، فالشعب في هذه الصورة؛ طاغوت ومعبود من دون الله] =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمشركين أو بمنعهم الجهاد أو بقمعهم لشعوبهم أو بسيطرتهم على ثروات البلاد أو بهيمنتهم على الشعوب أو حتى باختزال الوطن بشخصياتهم، في حين أن الطاغوت في التوصيف القرآني ليس له هوية أبدا، قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ} (البقرة ٢٥٦)، ومن الواضح أن الآية:

- فيها عموم (الطاغوت) بحيث يدخل فيها الحاكم وغير الحاكم من الناس وغير الناس.
- كما أنها لم تحدد هوية الطاغوت الدينية هل هو المسلم أم الكافر.[1]
- مثلما أنها لم تحدد جنسيته هل هو عربي أم أجنبي، وهل هو أفريقي أم آسيوي، وهل هو أوروبي أم أمريكي ...الخ
- فضلا عن أنها لم تحدد هوية الطغيان فيما إذا كان اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا أو ثقافيا...الخ
- وبالتالي فالآية تنبئ عن طغاة وطغيان كائنين في كل مكان وزمان.

واقع الأمر أن للمفهوم سعة لا حدود لها بحيث ينطبق على الفرد والمجتمع والمؤسسة والحزب والجماعة والأيديولوجيا مثلما ينطبق على كل ما يعبد من دون الله سواء كان مسلما أو غير مسلم[2]، ولعل سبب حضوره الطاغي في عالمنا العربي والإسلامي أكثر من غيرهما أن الحاكم بالذات هو المتهم بكونه طاغوتا يمارس الطغيان[3]، فالحاكم، بعرف

= ح- المجالس النيابية - مجلس الشعب –
خ- الديمقراطية.
راجعها مفصلة في رسالته [وجوب الفصام وحتمية الصدام بين الكفر والإسلام]

[1] قلت-ذروة السنام-:
لا ريب أن الطاغوت الذي أمرتنا هذه الآية بالكفر به هو طاغوت كافر –كفر أصلي أو ردة- وليس بمسلم.
قال أبو بصير الطرطوسي" مسألة: هل يصح إطلاق كلمة الطاغوت على المسلم، أم أن هذه الكلمة لا يجوز أن تُطلق إلا على الكافر الذي له صفة الطاغوت كما تقدم؟!..." فأجاب تفصيلاً ثم قال:"إلا أنني قد تتبعت كلمة الطاغوت في القرآن الكريم وفي السنة.. فكلها جاءت بمعنى الطاغوت الكافر الذي يُعبد من دون الله تعالى.. والله تعالى أعلم." أ.هـ [شروط لا إله إلا الله]
ولعل المؤلف يقصد بالطاغوت المسلم : المسلم من حيث النشأة، أي الذي يدعي الإسلام زوراً، كحال حكام المسلمين اليوم.

[2] قلت –ذروة السنام-:
فرق بين من عُبد من دون الله وهو راض ومن عُبد من دون الله وهو غير راض، فالأول طاغوت كافر، والثاني لا يؤاخذ بما فعله المشركون رغماً عنه كعيسى بن مريم عليهما السلام(راجع خواتيم سورة المائدة). وعليه فلا تصح تسمية المعبود من دون الله (المسلم) بالطاغوت.

[3] قلت –ذروة السنام-:
علة اعتبار الحكام طواغيتاً هي إما لكونهم يحكمون بغير ما أنزل الله أو أنهم يشرعون ويسنون قوانين من عند أنفسهم أو مجالسهم، أو غيرها من العلل التي ذكرها العلماء، وليس لمجرد طغيانهم وظلمهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلفية الجهادية[1] ، جاوز كل حد في تبعيته للقوى العدوانية والشريرة والكافرة ونسج معها كل التحالفات الضامنة لبقائه في الحكم وتوريثه وخاض الحروب ضد شعبه وضد المسلمين بشكل مباشر أو بالوكالة، وهو الأمر الذي يدخل في بابي الاضطهاد أو الاستعانة بالمشرك على المسلم ما يكفي لإخراجه من الملة[2]. بل أن السلفية الجهادية تذهب أبعد من ذلك حين توسع من المفهوم بالقدر الذي يتيح لها أن تسبغ على الحاكم صفتي الهيمنة والنفوذ اللتين تجعلان منه ليس مشركا فقط بقدر ما بات وكأنه صار "ربا يعبد من دون الله في الأرض"[3]، فهو الحاكم المطلق بأمره، المشرع من دون الله والحاكم بغير شريعته، وهو المتصرف بأمر البلاد والعباد، وهو الرئيس المؤمن والإمام المبايَع وصاحب العطايا والهدايا، وقائد الجيش ورئيس البلاد وباني عزها ونهضتها ومجدها، وهو كبير تجارها وأثريائها ومشايخها وأمير أمرائها، ولديه من الصفات ما يشبه الغزل ومن الألقاب ما يجعله صاحب سلالة ومن النياشين ما يثقل كاهله ولا يتسع لها صدره، ومن المنجزات ما جعل شعبه من أرقى الشعوب ووضع دولته في مصاف الدول المتقدمة! بل هو فرعون العصر بحسب تعبير جماعة الجهاد المصرية.

هذا الحاكم ظل حريصاً على تراث ميكيافيلي ووفيا لمبادئه ونصائحه، لكنه ليس مثيلا لقادة أوروبا الميكيافيليين الذين يلعبون دورهم المسند إليهم، ففي عالمنا العربي خاصة والإسلامي عامة يتجاوز الحاكم حتى النزعة الميكيافيلية نحو نزعة عجيبة غريبة على الحكام في الدولة الحديثة. وفي هذا السياق يقدم المفكر الكويتي عبد الله فهد النفيسي توصيفاً طريفاً لما يسميه بـ"الطغيان السياسي" العربي الذي يعد واحداً من بين ثلاثة مشاكل تعاني منها الأمة العربية بالإضافة لـ "سوء توزيع الثروة والتحلل الاجتماعي"، ويرى أن هذا الطغيان الذي يعني "استئثار القلة بالقرار السياسي" على حساب الأغلبية زاد في دول

[1] أغلب التيارات الإسلامية لها رؤى مناقضة لما تراه السلفية الجهادية، إذ تعتبره تيارات أخرى كمن يسمون بالمدخلية والجامية وأصحاب الإرجاء ولي أمر . أما السرورية مثلا فتعتقد في الحاكم كل شيء إلا أن يكفر.فهذا عندهم ضيق النطاق جدا.

[2] قلت -ذروة السنام-:الأدلة على كفر من استعان بالمشرك على المسلم أو أعان المشرك على المسلم ظاهرة [راجع كتاب الدلائل لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب]، أما الاضطهاد (وحده) فلا يكفي لإخراج الحاكم من الملة.

[3] أفضل مقارنة مع شريط أبي يحيى الليبي الموجه إلى السلطات السعودية ومفتى المملكة عبد العزيز آل الشيخ، والشريط بعنوان: "توحيد آل سعود وتوحيد الحق"، جمادى الأولى ١٤٢٨ - أيار /مايو٢٠٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخليج لأن "النظم الحاكمة في الجزيرة العربية بلا استثناء تمارس الحكم والتجارة في نفس الوقت، فهي تحكم وفي نفس الوقت هي كتل في السوق تزاحم الناس على أرزاقها، هي تشتري الأراضي وتبيع الأراضي وتدخل في مقاولات ومناقصات وتدخل في عالم المال والأسهم وإنشاء الشركات وإسقاطها، وفي نفس الوقت تقرر سياسيا، والذي يجمع الحكم والتجارة حتما سيحرف القرار السياسي لمصلحته، ولذلك كان هذا محرما في الشريعة الإسلامية ... وهذا ما جعل للطغيان السياسي منصاته القوية على الأرض"[1] .

السؤال البسيط: لماذا لا يلعب الحاكم دوره كمهنة ويكتفي بمنصبه؟ ولماذا يصر على لعب أدوار اقتصادية واجتماعية وثقافية ليست من اختصاصه و لم يُدعَ إليها ولا هو مؤهل لها؟ ولماذا يصر على الحضور الإعلامي اليومي؟ ألأنه والدولة قويان بما فيه الكفاية؟ أم أنه والدولة مجرد ظاهرتين طارئتين، وبالتالي فهو في موقع غنيمة ينبغي الاستفادة منها إلى أقصى الحدود قبل أن ينقضي أجلها؟

وفي الحقيقة فالطغيان السياسي ليس مقتصراً على الحاكم، وكما قال النفيسي، فقد باتت له منصات، وهو ما يعني أن القوى الاقتصادية والاجتماعية المتنفذة ضليعة حتى النخاع في لعب دور الطغاة وممارسة الطغيان. فمن يمتلك المال بالتأكيد سيمتلك السلطة والقرار أو على الأقل هو مساهم في صناعته سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وعلى الرغم من أن الشرائح الاقتصادية المتنفذة في عموم العالم العربي لم تكن تملك من الثروة الشيء الكثير قبل مائة عام، و لم تكن محسوبة على القوى الاجتماعية ذات النفوذ العريق على قلتها إلا أن مصادر الثراء ذاتها ولدت بطرق غير شرعية البتة[2]، بل أن ما يوصف، عبثا، بالبرجوازية العربية الكبرى، ليس إلا طبقة مشبوهة ومخلعة الجذور صنعتها ظروف معينة ودعمتها القوى الاستعمارية وثبتتها الدولة الوطنية[3]، وبالتالي فهي طبقة لم تكن

[1] كلمة د. عبدالله فهد النفيسي، ندوة بعنوان: "أثر التحولات العالمية والإقليمية على مواقف التيارات الإسلامية في منطقة الخليج"، قناة الجزيرة ، ٢٠٠٦/٦/٢٥. وردت مقتطفات منها في شريط د. أيمن الظواهري بعنوان: "نصيحة مشفق"، مؤسسة السحاب، ٢٠٠٧/٧/٥.

[2] د. أكرم حجازي، تاريخية البرجوازية العربية – مجرد بروليتاريا. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات (محكمة) / رام الله– فلسطين / العدد الثامن، تشرين أول – أكتوبر ٢٠٠٦م، ص ٢٩٧ - ٣٠٣.

[3] نفس المرجع، ص ٣٠٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصيلة في يوم ما ولا ذات علاقة بالعلم أو المعرفة و لم تراهن عليهما قط في بناء ثرواتها لأنها لم تكن خيارا اجتماعيا رأسماليا بقدر ما هي خيار سياسي أيديولوجي صرف[1].

هذه الطبقة تجيد القول بأن المال ليس له وطن! فتبرر بذلك هجرة رؤوس أموالها خارج أوطانها، وهي بذلك تساهم في الإفقار خاصة وأنها تستثمر بغرض تنمية ثرواتها لا بغرض تنمية بلدانها ومجتمعاتها، بل أنها غالبا ما تعيش خارج بلدانها أو على متون الطائرات والسفن، والأسوأ من ذلك أنها أبعد ما تكون عن أية مسؤولية دينية أو أخلاقية، ولو سئلت عن زكاة أموالها المنقولة وغير المنقولة لأطبقت صمتاً بينما لا يضيرها حجم الترف والبذخ وتبديد ثروات لو وزعت على مستحقيها لكفت الأمة برمتها. والأسوأ من هذا وذاك أنها ترعى التحلل الاجتماعي واستيراد الثقافات الأجنبية وتسعى لمد طغيانها على قطاعات الاقتصاد غير المهيكلة فتحرم الريف من اختصاصاته الإنتاجية والفرد من مصادر الرزق[2]، فكيف لا تكون جزء أصيلاً ومؤثراً من الطغيان؟

في المجتمعات العربية فإن التشكيلات السياسية الكائنة يغلب عليها الطابع القبلي، فالقبيلة باتت عضوا مؤسسا في كافة المؤسسات المدنية من أحزاب ونقابات وجمعيات ونوادي وحتى قادة في الجيش، بل أن التشكيلة السياسية في الحكم تراعي إلى حد كبير التوازنات الاجتماعية القائمة على النفوذ القبلي، وكذا الأمر في الجيش والقضاء والسلطة والأمن والاقتصاد، وتبعاً لذلك سينشأ بفعل هذه التقسيمات والهيمنات منظومة قيمية يجري التحاكم إليها والدفاع عنها كما لو أنها النموذج الثقافي الأسمى، فماذا بقي للدين والأخلاق والعلم من حضور في ظل هذا الطغيان؟

من المألوف جداً في أي مجتمع بني على الطغاة والطغيان أن تتسم مختلف جوانب حياته بالطغيان، فالساسة، مثلا، هم الفئة المستأثرة في القرار السياسي، وتكاد هذه الفئة تنغلق على نفسها بحيث تبدو الدولة برمتها حكرا عليهم، ولكل منهم نصيب في مؤسساتها وميادينها، وترى نفوذ الواحد منهم يصل إلى الجامعة والبرلمان والحكومة والسوق والقضاء

[1] نفس المرجع، ص٣٠٦.
[2] نفس المرجع، ص٣٠٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجيش والأمن والخدمات وكل ما يمكن تخيله في الدولة والمجتمع علاوة على ما يتحصل عليه من امتيازات وإعفاءات بوصفه رجل دولة قدم خدمات جليلة لها وبالتالي يحق له ما لا يحق لغيره! وفي المقابل لا يجد العامة من الناس قوتهم إلا بشق الأنفس، ولا يجدون من ينتصر لهم إلا بالواسطة والرشاوى، ولا من يُحصِّل لهم حقوقهم إلا بمساومتهم عليها. وإذا ما اهتزت البلاد في نازلة من النوازل فهم أول الضحايا والخاسرين. ومع أنه لا فرص أمامهم ولا طموح بحيث يبقى الفقير منهم فقيرا حتى لو امتلك ناصية الكفاءة والعلم والغني غنياً حتى لو كان من الجهلة إلا أنهم مدعوون إذا طلب منهم الرقص أن يرقصوا فرحاً وإذا طلب منهم الغناء فليغنوا طرباً وليتغزلوا بالحاكم ولو نفاقاً، وإذا كان عليهم أن يحزنوا فليبكوا حتى النواح، أما الحالة الطبيعية لهم فهي التزام الصمت حتى حين يكون الصراخ فضيلة.

ولعل أطرف المشاهد الاجتماعية على الطغيان وأخطرها ما يمس الفرد ذاته، فلما يغيب القانون وتغيب الشريعة ويغيب الوازع فمن الطبيعي أن تتقدم النوازع النفسية الشريرة خطوات إلى الأمام، وهي صورة يمكن أن نجدها مجسدة أكثر في المجتمع المصري وريث الثقافة الفرعونية القائمة على ثنائية "السيد – العبد" وليس "الأسياد – العبيد"، والأغرب أن مثل هذه الثقافة يجري الترويج لها والدفاع عنها في وسائل الإعلام والمنشورات والفضائيات على مرأى ومسمع من الدولة ومن أفراد وليس من جماعات فقط! ولا شك أن الفضل في كشف التعذيب في السجون المصرية ومراكز التوقيف والتحقيق يعود للمدونين الذين نشطوا في الدفع بالظاهرة المتجذرة إلى العلن بعد أن كانت حبيسة أجهزة وزارة الداخلية والمخابرات. ولما تُسأل السلطات المصرية أو القريبون منها عن ممارسات التعذيب كاللواء فؤاد علام تأتي الإجابة محملة بقدر كبير من البلاهة: "بالتأكيد هي ممارسات فردية"! والحقيقة أن الطغيان الفردي يمكن أن يكون أخطر من الطغيان الجماعي أو المؤسسي كونه يعكس ثقافة اجتماعية شاملة وعميقة جعلت من الفرد حاضنا لها لاسيما وأن لسان حاله سيغدو على شاكلة من يقول: " أنا سيد على من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو دوني"، وحينها سيكون سهلا على من يمسك بالسلطة كرجال الشرطة أن يتحولوا إلى طغاة يلقوا برجل من علٍ أو يعذبوا آخر في أعضائه الجنسية أو يسقطوا هذا وذاك أخلاقيا ويهددوا آخرين بالاغتصاب.

حتى الظواهر الاجتماعية في البلاد الإسلامية تتسم بالطغيان إذا ما قورنت في بلدان أخرى. فظاهرة التسول انتقلت إلى المؤسسة الإدارية وبات الموظف بطلها الخارق. ففي بعض البلدان العربية يحتفظ الموظف بختم المصادقة على المعاملات والوثائق في جيبه الخاص وكأنه ملكا له ورثه أباً عن جد، ويحتفظ بالحيلولة دون حق المواطن فيما يستحق من استخراج وثائقه أو المصادقة عليها إلا بعد أن يدفع للموظف أو المسؤول لقاء ما يطلب منه، والأطرف أن بعضهم يوسط ويدفع الرشاوي ليعمل في وظيفة معينة كونها تدر عليه دخلا معتبرا بينما راتبه فيها لا يكاد يعيله وحده! ولعل المشكلة في الفساد أن له مؤسسات تحميه وأناس يدافعون عنه على الرغم من أنه يضرب الجميع بلا استثناء، والأسوأ أنه يخلق قهرا اجتماعياً يصعب تحمله، فكيف يمكن تبرير فساد إداري يستغل حاج أو معتمر راغب إلى ربه في آخر لحظات قبل إغلاق الحدود؟ وكيف يمكن تحمل الأمر ذاته في افتتاح المدارس؟ وكيف يمكن تقبل فساد إداري وابتزاز في أجهزة الشرطة والقضاء؟ بل وفي الجهاز الطبي ذاته وما يشكله من معاناة للمريض وأهله فضلاً عن معاناة المرض إياه؟ ونفس المشاهد وأسوأ يعاني منها الأجانب المقيمين سواء في تجديد عقودهم وإقاماتهم وسفرهم وتسوية أوضاع أسرهم أو حتى في تحصيل رواتبهم وحقوقهم؟

الغريب في كل هذا أنه لما استفحلت الظاهرة وباتت سلوكا اجتماعيا يضرب كافة الشرائح الاجتماعية وسلم التراتبات الوظيفية من قمة الهرم الوظيفي إلى أسفله وعلى مستوى الأفراد وجدت حلاً لها في مخارج فقهية لم تتحرج من إصدار الفتاوى التي تجيز دفع الرشا لتجاوز العقبات الإدارية!

بهذا المعنى للطغاة والطغيان من بقي خارج دائرة الاتهام؟ إذا كان الحاكم والقاضي والمحامي والطبيب والمسؤول الإداري والشرطي والرأسمالي والوسيط والفقيه والأستاذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والموظف وأمثالهم وحتى المواطن كلهم طغاة يمارسون الطغيان؟ لا أحـــد، لكـــن يبقـــى للطغيان السياسي عند السلفية نكهته الخاصة وتداعياته الخطرة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثا: سايكس – بيكو، واقع وثقافة:

لم تكن معاهدة سايكس – بيكو سنة ١٩١٦ بين القوى الكبرى (فرنسا وبريطانيا) في أوائل القرن العشرين إلا ثمرة اتفاق على تقاسم تركة الإمبراطورية العثمانية. هذه المعاهدة نتج عنها:

(١) فرض استقلال تركيا في دولة مستقلة و

(٢) إلغاء نظام الخلافة الإسلامي و

(٣) تقسيم ما أسمي استعماريا بالوطن العربي و

(٤) فرض الوصاية على ٢١ جزء منه تحولت إلى دول مستقلة، ومن

(٥) ثم فرض التبعية السياسية والاقتصادية والقانونية والثقافية عليها، وأخيرا

(٦) زرع الدولة اليهودية في قلب المنطقة العربية في

(٧) عملية تقطيع أوصال حضارية، و

(٨) منع أية عملية توحد في المستقبل بفعل القوة الجديدة في المنطقة.

كان لدى العرب أرض واحدة وأمة واحدة وعقيدة واحدة وثقافة واحدة وحاكم واحد ونظام واحد واقتصاد واحد وبضعة بحار، والآن لديهم ٢٢ دولة و٢٢ بقعة جغرافية و٢٢ شعب عربي أو مسلم و٢٢ أمة و٢٢ قومية يحكمها ٢٢ نظام سياسي و٢٢ عقيدة و٢٢ حضارة و٢٢ تاريخ و٢٢ ثقافة و٢٢ نظام تعليمي و٢٢ اقتصاد و٢٢ سياسة و٢٢ منظومة قانونية و٢٢ بحر و٢٢ فضاء، وكان لديهم حرمان شريفان فصار عندهم نجف أشرف! وقائمة لا تنتهي من التمزق[1]. أما لو أسقطنا سايكس – بيكو على الخلافة كرمز اجتماع العالم الإسلامي فلنتصور حجم التمزق الذي وقع على أمة الإسلام والمسلمين، والأهم من هذا أن أحدا من الأجيال الراهنة، حكاما ومحكومين، لم يعش في حياته لحظة عروبة واحدة ولا لحظة توحيد صافية منذ مائتي عام على الأقل.

[1] يرد الظواهري على من طالب الدول العربية بنصرة العراق فيقول: "هذه الدول لا نصرت عرباً ولا عجماً ولو كانت تريد نصرة عرب العراق لنصرتهم قبل الغزو وأثناءه"، د. أيمن الظواهري، "دروس وعبر وأحداث عظام في سنة ١٤٢٧هـ"، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، ١٤٢٨هـ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبلغة العامة والخاصة يؤثَر عن منتجات سايكس – بيكو القول: "اتفق العرب على ألا يتفقوا"، هذه العبارة يرددها رعايا سايكس – بيكو ابتداءً من "الزعيم" وانتهاء بـ"الواد سيد الشغال". فما من فرد عربي، من قمة الهرم السياسي إلى أدناه، إلا ويدرك أن الحديث عن مسمى الوحدة العربية هو مضيعة للوقت ليس إلا. إذ أن منطق الأمور يؤكد على استحالة التوحد انطلاقا من بنية لا تشتمل على أي عنصر وحدوي على الإطلاق، وبالتالي فإن كينونتها وآليات اشتغالها لا يمكن لها أن تعمل بغير التمزق كهدف وكحصيلة نهائية لمبررات وجودها، وعليه فإن كل أدواتها لا يمكن لها أن تنتج غير مزيد من التفكك، فهل يعقل القول أن الدعوة إلى الوحدة العربية، عبر هذه الكينونة، مفهوم يجمع؟ ولا يفرق؟ فضلا عن القول بإمكانية تحقيقها؟

نظرياً، وحين البحث عن عناصر الوحدة ومبرراتها، يبدو الأمر ممكنا، ولكن عملياً من يستطيع أن يحقق الاجتماع العربي بأدواتٍ ولّدتها تقنيات سايكس – بيكو عبر ٢٢ وحدة بنيوية أصبح لكل منها طموحاتها وأهدافها وشروطها ورؤاها وآليات اشتغالها؟ ففي الجزيرة العربية استبدل الاسم بدول الخليج العربي كنظير للخليج الفارسي، ورغم تماثل البنى الجغرافية والسكانية والاقتصادية ظلت قطر هي قطر والبحرين هي البحرين والكويت في واد مثلما هي عمان في واد آخر أما اليمن التي تعد الخزين الحضاري والديمغرافي للجزيرة فهي تعيش وكأنها في قاع الأرض. وفي دول المغرب العربي لدينا وحدة جغرافية وسكانية مفككة كبلاد الشام، أما مصر فقد انتزعت من العروبة والإسلام ليعاد إرسالها إلى رحم الفرعونية وكأنها باتت بلاد بلا تاريخ إلا من أبو الهول وأهرامات الجيزة وشارع الهرم سيئ السمعة والصيت! ولما يكون الأمر كذلك فعلى أية أسس ينادي القوميون وأمثالهم بوحدة لن تتحقق أبدا؟ وكيف يمكن لوحدة أن تتحقق بعد هذه العقود إذا كان البعض يتخوف الآن من تجزئة القطر نفسه ويدعو إلى الحفاظ على تماسكه!؟

أما الشواهد على اشتغال آليات التجزئة فثمة منها ما يفوق كل تنبؤ، فما دامت سايكس – بيكو تعمل بكامل طاقتها وعنفوانها فلن يكون مستغربا أن تشمل عمليات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفكيك الحضاري والأخلاقي والإنساني العقيدة نفسها ويُعتدى على الدين والأنبياء والرسل وتشوه صورة الإسلام ويحرف الدين عن بكرة أبيه حتى يغدو ملائما لليبرالية، وها هي دول التجزئة تتلقى المزيد من المطالب بتعديل مناهجها التعليمية، وليس العلمية غير الموجودة أصلاً، بحيث تؤدي عمليات التعديل إلى إلغاء عقيدتها حتى لا تكون للأمة أية مرجعية يعتد بها حين تقع النوازل عليها. بل أن الظاهرة العجيبة التي تضرب العالم العربي على الخصوص أن آحاد الناس بات معنيا بمخاطبة الغرب بعد أن كان هذا الخطاب حكرا على الدولة، فالفرد والقبيلة والحزب والجماعة والنقابة والمؤسسة وكبار المسؤولين وحتى صغارهم والشخصيات النافذة ورجال الأعمال والوسطاء والسماسرة والفنانين وغيرهم كلهم الآن باستطاعتهم نسج الخيوط والعلاقات مع الغرب دون وجل أو خشية من مراقبة أو محاسبة أو اتهام، بل أن بمقدور الكثير من هؤلاء الاستقواء بالغرب والاستعانة به وتهديد مصير بلاده ومصالحها دون أن يرتد له طرْف[1]، بل أن بعضهم يدافع باستماتة عن خياراته "الوطنية" ويدعو الآخرين إلى الاقتداء به إذا أرادوا الخلاص من الديكتاتورية[2]! والسؤال الغريب العجيب: لِمَ يخاطبنا الغرب بلغة واحدة فيما بتنا نخاطبه عربا ومسلمين بمائة لغة؟ لِمَ يجتمع علينا ونفترق عليه؟ لماذا ينجح ونحن نفشل؟ ما هي آلياته؟ وما هي آلياتنا؟ ولماذا تنتج سايكس – بيكو عمالة محمودة في عالمنا العربي؟

ولعل أطرف ما في سايكس – بيكو كثقافة ما خزنته المصادر والمراجع في عقول الأجيال عن ثورات وحركات تحرر واستقلال عن القوى الاستعمارية، فما أن حلت هذه القوى حتى شُرِع في تدشين ثورات وطنية من أجل الحرية والاستقلال! و لم يعد العرب يطالبون لا بالتوحد ولا بالخلافة. وكم كان الاستعمار كريما وهو يسمح لـ "الشعوب العربية" بمناهضته بالسلاح بينما هو في قمة النشوة أن مخططاته نجحت سياسيا واجتماعيا

[1] في جامعة عربية يهدد أحد المسؤولين الإداريين فيها وبعض حواشيه رئيس الجامعة قائلا: إذا كان يعتقد أن وراءه فخامة الرئيس فنحن وراءنا أمريكا!

[2] لاحظ تصريح وليد جنبلاط زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان والذي دعا المعارضة السورية إلى الاستعانة في الغرب لإسقاط النظام السياسي في سوريا أسوة بما فعله هو وحلفائه في لبنان من إجبار سوريا على الانسحاب من لبنان تحت الضغط الدولي وإلا فلن ينجحوا، كما يمكن ملاحظة التهديد الأمريكي بقطع المساعدات عن مصر إذا لم تفرج عن سعد الدين إبراهيم رئيس مركز ابن خلدون والذي اتهم بالاتصال بجهات أجنبية وإلحاق الضرر في الأمن القومي المصري. هذا فضلا عن دور المعارضة العراقية في تسليم البلاد للقوات الأمريكية وتحطيمها بالكامل بحجة الخلاص من نظام صدام حسين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واقتصاديا وحتى طائفيا، وصارت سايكس – بيكو واقعا وفكرة وعلامة سياسية برسم الاستقلال والتحرر وتقرير مصير! وباتت الأعلام ترفرف على المؤسسات الوطنية والنشيد الوطني يتلى صباحاً في المدارس وكأنه قرآن. فمن يصدق اليوم أن السنة والشيعة في العراق اتحدوا آنذاك في جبهة واحدة ليشكلوا كتائب العشرين التي أذاقت الإنجليز الويلات؟ بينما نفس القوى الغازية للعراق اليوم تشعل الحرب الطائفية بأبشع صورها وتهدد بتقسيم دول أخرى؟ وتسعى كل طائفة إلى الاستقلال عما أصبح بين ليلة وضحاها غريمتها؟ إذا كان العرب لا يصدقون أن أهداف الاستعمار آنذاك كانت تقضي بصناعة وطن مستقل ذو مواصفات استعمارية فكيف سيصدقون أن الاستعمار ذاته يجد نفسه بعد كل هذه السنين مضطرا لتفكيك ما صنعته يداه؟ لعلنا كنا مغفلين، في لحظة من الزمن، ونحن نصنع سايكس – بيكو بأيدينا، وسنكون مغفلين حتى النخاع إذا ما زلنا نعتقد أن الوطن الحر المستقل المعترف به دوليا بمنأى عن الاندثار بأيدي من صنعه.

هذا أقل ما فعلته معاهدة سايكس – بيكو لتبدأ عملية الاشتغال الثقافي تأخذ المنحى الغربي التام حتى في الأنماط الثقافية والحياتية العامة والخاصة. لذا فإن سايكس – بيكو ليست و لم تعد مجرد معاهدة استعمارية بقدر ما هي حالة ثقافية بأتم معنى الكلمة واقعاً وسلوكاً. بل إن التقسيمات الجغرافية والتي صمم الكثير منها بصيغ خطوط الطول والعرض وأخذت شكل الدولة المستقلة، ومنذ اللحظة الأولى، ظهرت كما لو أن كلا منها سليل حضارة مستقلة قائمة بذاتها حتى لو لم يكن الأمر كذلك تاريخا، وحتى لو اضطرت مثل هذه الدول إلى زراعة حضارات وتواريخ لها من جديد أو إعادة استنبات المدفون منها حتى لو كان على ذمة المستعمر.

تنظر النظرية الماركسية إلى المجتمع باعتباره مكون من بنية تحتية وبنية فوقية، وإذا وضعنا سايكس – بيكو في مستوى البنية التحتية فإن كل ما أنتجته وتمظهر في البنية الفوقية هو بالتأكيد من ذات الصناعة والمحتوى. وهو بلغة ماركسية مجرد أيديولوجيا لا أكثر ولا أقل. **لذا فإن السلفية الجهادية ترفض كل البناء باعتباره بناء باطلاً ومخالفاً**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للشريعة. وعليه ينبغي هدمه من الأساس لإعادة البناء من جديد على أسس شـــرعية، فهل يكفي هذا التوصيف لنفهم حقيقة العبارة التي ترددها السلفية وأنـــصارها علـــى الدوام والتي تحولت إلى أساس كل صراع[1] "الدم الدم والهدم الهدم"[2]؟

من العبث التفكير بأن صراع السلفية الجهادية مع الأنظمة السياسية العربية هو صراع فردي أو سياسي، ونكاد نجزم أن أحدا من رموز السلفية الجهادية الذين تعج بهم أخبـــار وسائل الإعلام ومحافل الأمن لم يكن في يوم ما في السلطة ولا خاض معها صراعا علـــى امتياز. والأصح التفكير بالصراع باعتباره صراعا بين منظومتين فكريتين إحداهما عقديـــة والأخرى غير عقدية، فما الذي تعنيه السلفية الجهادية حين تصف مخالفيها بأنهم صـــناعة سايكس – بيكو وحملة ثقافتها؟

على الصعيد السياسي، وتأسيساً على عقيدة التوحيد، فإن موقف السلفية الجهادية من الجماعات الإسلامية كافة يتحدد بالنظر إلى تفاعلها سلباً أو إيجاباً مع ما أنتجته ســـايكس - بيكو من مؤسسات وأنظمة وقوانين وأيديولوجيات ومفاهيم ومصطلحات وغيرهـــا[3]. فالوطنية والقومية واليسارية والليبرالية هي مفاهيم أيديولوجية رافقت ظهور الدولة الحديثة مثلما رافق ظهورها الحاكم والقبيلة والعشيرة والحزب والنقابة والمؤسسة، أما الـــدعوة إلى تعميم الوعي والديمقراطية والعلمانية والحرية والقانون والنظام والحقـــوق والواجبـــات أو المناداة بها وإسقاطها على كامل المجتمع فقد تلازمت هي الأخرى، علـــى الـــسواء، مـــع نواقضها من التسلط والقمع والسجون والمطاردة والتضييق على الحريات وانخفاض خطير في سقف المطالب الاجتماعية إلى حد البحث عن الأمن والملاذات الآمنة، وليس أدل على ذلك من حجم اللجوء السياسي لمواطنين عرب إلى الدول الغربية وحتى إلى دول مجاورة، وقس على ذلك ما تشاء من الإفرازات حتى أن المعارضة لا يمكن لها أن تفلت من كونهـــا

[1] أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مصدر سابق، ص ١١٩٠
[2] ربما يمكن إسقاطها في السياق رمزيا، لكن في معناها الأصلي فهي: "الولاء الكامل الذي لا ينقض والنصرة التامّة، فدمي دمُك وهدمي هدمُك".
[3] د. أيمن الظواهري، المعادلة الصحيحة، مصدر سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جزء من التكوينة الاستعمارية بقطع النظر عن أية معايير أخرى بما فيها الراديكالية مهما بلغت من المصداقية وقدمت من تضحيات[1].

الأهم في سايكس - بيكو بوصفها حالة ثقافية هو ذاك الخراب الذي أصاب القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية في الصميم، إذ أن قيم العنصرية تضرب الغالبية الساحقة من البلدان العربية وتجد من يدافع عنها ويتفاخر بها، وأكثر من ذلك فيما يتصل بقيم من المفترض أنها منبوذة عقديا وشرعيا إلى حد اعتبارها من الكبائر كالكذب وشهادة الزور والسرقة والفساد والزنا والغدر والاحتيال والنصب والاحتكار واللامبالاة والاستهتار حتى في الدين وسب الإله والأنبياء، ولا غرابة إذا قلنا، من واقع التجربة والمعاينة، إن بعض المجتمعات العربية تغزوها اليوم أحط القيم وأشدها تناقضا لدرجة أن المرء يتساءل فعلا إن كانت هذه المجتمعات ذات قيم إسلامية كما يروج لها القائمون عليها أو أن لها علاقة ما بالإسلام! إذ من السهل ملاحظة شيخ نصاب ومصل كذاب ومحدث جاهل وجار سوء وصديق غادر ومتبرجة تصوم وموظف لئيم وزانية تعمل بترخيص حكومي.

في سايكس – بيكو أيضا كل يغني على ليلاه! حتى الثقافة السياسية للمواطن غدت ذات مواصفات عنصرية بغيضة وضيقة وهي تحصر نفسها بأطر جغرافية واجتماعية، وبتنا نلحظ لغة من نوع "البلاد بلادنا ونحن أحرار فيما نفعل بها"! ثم تطورت إلى صيغة "أولا"، ولما تكون الثقافة بهذه الصيغة فالسؤال المشروع: أيها يكون ثانيا وثالثا ورابعا وخامسا؟ الدين؟ العقيدة؟ وما هو الترتيب الذي يحتله الحرمان الشريفان أو المسجد الأقصى؟ وهل يمكن حماية ما تبقى من جغرافيا أو تركيب اجتماعي يتزلق نحو القبيلة والعائلة والفرد بدلا من الأمة؟ وهل يمكن لثقافة من هذا النوع أن تقيم وزناً يذكر حتى لتاريخها وإرثها الحضاري؟ وقد شاهد العالم أجمع كيف أن كل التراث العراقي والوجود الحضاري له خاصة الخزين الحضاري الإسلامي من إرث الخلفاء والدولة الإسلامية لم تساوي عند الأمريكيين سلامة وزارة النفط وآبارها التي بدت بلا أدنى شك أثمن من

[1] د. أيمن الظواهري، "دروس وعبر وأحداث عظام في سنة ١٤٢٧هـ"، مصدر سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عشرة آلاف عام من الحضارة بكل محتوياتها، وأكثر من ذلك وأهم أن تحطيم هذا الخزين كان يقع بأيد نهلت ثقافتها وعقيدتها من معين سايكس – بيكو.

ولا شك أن مثل هذه المشاهد في رحاب سايكس – بيكو تبدو أكثر غرابة لدى الحركات الإسلامية التي نالت القسط الأكبر من هجوم السلفية الجهادية عليها على خلفية الدفاع عن سايكس – بيكو وتبني أطروحاتها من دولة وطنية إلى دولة علمانية يجري تخفيف وطأتها عبر التعبير عنها بـ "دولة مدنية"! كما أن بعض الجماعات الجهادية نكصت على عقبيها وبات خطابها السياسي والديني أشد وقعا على الجهاد والمجاهدين وقضايا الإسلام من خطاب السلطة ذاته الذي يضطر في كثير من الأحايين إلى التواري في تصريحاته خشية إثارة الرأي العام من حوله فيما لا تتوانى جماعة إسلامية، على خلفية أحداث مخيم نهر البارد مثلا، عن تقديم الفلسطينيين وكأنهم المذنبون فيما وقع عليهم من ظلم تاريخي فضلا عن أن مسلحيهم لا يحترمون البلدان المضيفة لهم[1]. أما القضايا الكبرى مثار الخلاف فتكمن فيما تعتبره السلفية الجهادية تراجعا من هذه الجماعات عن الأهداف التي نشأت من أجلها كقضايا الحاكمية والجهاد والموقف من الدولة و"أنظمة الطواغيت" والتحالف مع القوى المعادية للأمة، محليا وخارجيا، ومحاربة المشروع الجهادي العالمي كما حصل في أفغانستان والعراق والجزائر وحتى فلسطين. زد على ذلك أن بعضها أصيب بآفة الغرور والتعصب بحيث بات التنظيم بعينه هدفا بحد ذاته والسد الوحيد الذي بدونه ستنهار الأمة وبعضها الآخر لّما يزل أسيرا لأطروحات قديمة غير مجدية ناهيك عن جماعات أخرى ليس لها من الإسلام أكثر من الطبل وإحياء المناسبات، بل أن النفيسي في ندوته الشهيرة يذهب أبعد من ذلك وهو يصف هذه الجماعات، في الجزيرة العربية، وعلى اختلاف مسمياتها ما عدا القاعدة، بأنها "داخلة مع السلطة في البزنس".

[1] من حقها أن تصدر الجماعة الإسلامية في مصر (٢٤/ ٥/ ٢٠٠٧) بيانا بعنوان: " فتح الإسلام..أم تدمير الأوطان" تعقب فيه على الوضع في نهر البارد بين جماعة فتح الإسلام والجيش اللبناني، لكن من المدهش حقا أن يبرئ البيان الجيش والدولة لا ليدين فتح الإسلام فقط مقدما إياهم قتلة وقطاع طرق بل ليدين السلاح الفلسطيني في الأردن ولبنان وسوريا وكأن الفلسطينيين بؤر توتر حيثما حلوا وأنهم دائما ما لا يحترمون مضيفيهم! http://www.egyig.com/Public/articles/announce/6/80033469.shtml.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن، هل كان من الممكن أن تنتج سايكس – بيكو غير هذه المشاهد؟ وهل من المعقول أن تتمكن هذه المنتجات من العمل بغير ما تفرضه سايكس – بيكو من أدوات أو ما تتيحه من وسائل؟

لعل منطق الإجابة يشير أنه من المستحيل على من يلجأ إلى إفرازات سايكس – بيكو أن يستعمل تقنيات مغايرة، فمن يرتضي القَسَم على الدساتير الوضعية مثلاً أو يقرر الولوج إلى ساحة الفعل السياسي العلني أو ينشئ جماعة مرخصة لا بد له وأن يعترف أولاً بأن لكل منظومة وسائلها وتقنياتها ومدخلاتها، ولا بد له أن يقبل بقواعد اللعبة كما تفرضها خصائص النشأة، وحينها لا تثريب عليه فيما هو ذاهب إليه من سياسات وما يترتب عليها من نتائج، لكن الاحتجاج باجتهادات شرعية أو سياسية لتبرير اختياراته هو ما يثير السلفية الجهادية التي ترى في مثل هذه التوجهات والمواقف ردّة وإرجافا وتخذيلاً أو ليّا لعنق النصوص كما يقول أبو يحيى الليبي[1]، كما لا ينفع، في مثل هذه الحالات التي تستدعي موقفا شرعيا صارما، التحصن بتاريخ الجماعة وتضحياتها ولا بالثقة في رجالاتها ولا بالمراهنة على عامل الزمن ريثما تثبت صحة السياسات المتبعة وكأنه وقفٌ عليها تحبسه بسياساتها متى تشاء وتفرج عنه متى تشاء وما على الأمة إلا الانتظار أو منح الثقة بلا تحفظ!

ومع ذلك: أليست السلفية الجهادية ذاتها قد خرجت من رحم سايكس – بيكو؟ فلماذا تعيب على الآخرين ما هو عيب فيها؟

إنها كذلك بالتأكيد، إلا أن الفارق بين السلفية الجهادية والجماعات الأخرى يكمن في تحكيم الشريعة والالتزام بها فيما يذهب إليه كل منهما في سياساته، وهو المعيار ذاته الذي يتيح للسلفية إعلان حالة الحرب على سايكس – بيكو وكل مخلفاتها بنفس القدر الذي تعلن فيه الحرب على القوى الغربية والمعادية للأمة، في حين تبدو الجماعات الأخرى قانعة بقواعد اللعبة إلى درجة تمكن أقربها للجهاد:

[1] شريط أبي يحيى الليبي: "توحيد آل سعود وتوحيد الحق"،مصدر سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- من نبذ وإدانة الفكر السلفي الجهادي ووصفه بالفكر الخارجي والغريب عن الأمة[1]؛
- بل وإنكار وجوده عبر التقليل من شأنه على مستوى الأمة؛
- أو إحالته إلى قوى استخبارية أمريكية وصهيونية باعتبارها بلد المنشأ؛
- والعمل على مكافحته بما يتوافق تماما مع الأطروحات الأمريكية الداعية إلى "مكافحة الإرهاب"، وتشكيل لجان خاصة للغرض.
- بل ومحاربته بالسلاح، وإذا اقتضى الأمر التحالف الصريح والعلني مع أعداء الأمة على سحقه كما حصل في أفغانستان ويحصل الآن في العراق.

والطريف أن مثل هذه التوصيفات ذات المنحى التكفيري والتي تُرمى بها السلفية من قبل خصومها هي ذاتها التي تُتهم هي بها.

[1] مهدي عاكف، منتدى حوار موقع الـ BBC " مرشد جماعة الإخوان المسلمين مهدي عاكف يرد على أسئلتكم "، شباط / فبراير ٢٠٠٧. وردا على سؤال لأحد الزوار: "ما هو موقف جماعة الإخوان المسلمين من تنظيم القاعدة و هل هو موجود حقا؟"، فأجابه المرشد العام بما يلي: "أنا شخصيا لا اعتقد أن هناك "تنظيم القاعدة"، إنما هو فكر منحرف يسري بين شباب الأمة بتحريض من العدو الصهيوني والأمريكي وتصرفاته ضد العرب والمسلمين. كما أن هذا الفكر ظهر نتيجة التصرفات التي يقوم بها هذا العدو ضد العرب والمسلمين. ليس غريبا أن تروج أمريكا والصهاينة هذا الفكر لأن كليهما لا يريدان لأحد أن يسمع عن الإسلام الصحيح والمعتدل أكثر من سماعه عن الإسلام الدموي. بل أن الإسلام الصحيح يحارب في مصر ومعظم الدول العربية والإسلامية".
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid_6370000/6370217.stm.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعا: العلماء والفقهاء، أي دور؟ وأية وظيفة؟

في كتابه "مفهوم الدولة" يرى المفكر المغربي عبد الله العروي أن العلماء والفقهاء ظلوا يمثلون الرأي العام في الحواضر الإسلامية حتى أواخر العهد العثماني، وتحديدا حتى انطلاقة الدفعة الثانية من الإصلاحات سنة ١٨٨٢، ومع أنهم استبشروا خيرا في توجهات الدولة العثمانية الجديدة إلا أنهم فوجئوا باستبعادهم وتهميشهم عن إبداء آرائهم في الإصلاحات أو الشأن العام واستبدالهم بالخبراء والمستشارين الأوروبيين فما كان منهم إلا الانزواء منذ ذلك الحين فلا هم دافعوا عن حقوقهم واختصاصاتهم ولا هم لملموا شتاتهم،وها هم اليوم مفككين وعاجزين عن التقرير بأي شأن عام صغر أو كبر، بل إنهم وقعوا فريسة الاحتواء والتدجين وبعضهم تسابق على التحالف مع السلطة وشرعنة سياساتها علَّه يحظى ببعض الامتيازات والحضور وبعضهم استحدث له جماعة أو فرقة وبعضهم تمرد على واقعه وواقع الأمة فاختار طريق الجهاد وقضى فيه قتلا أو أسرا أو مطارداً.

مع تقدم الوقت وانهيار الإمبراطورية العثمانية ودار الخلافة ومجيء القوى الاستعمارية الغربية وانتصاب الدولة الوطنية صرنا نلحظ تجذراً لجماعات إسلامية وفرق مختلفة ومتنوعة بعضها منحرف كالقاديانية والبهائية، وأخرى صوفية كل ما لديها من الدين الدروشة والترانيم والموشحات، وجماعات دعوية عادت السياسة واكتفت بالوعظ والإرشاد، وجماعات الإسلام السياسي كالإخوان المسلمين وحزب التحرير، والجماعات الجهادية كتلك التي قادها الشيخ عمر المختار في ليبيا والشيخ عز الدين القسام في فلسطين. وبطبيعة الحال فإن بعض هذه الجماعات خاصة الجهادية منها اندثرت لسبب أو لآخر، وبقيت جماعات أخرى تضخمت وخرجت من حدودها نحو العالمية كالإخوان والتبليغ والدعوة والصوفية والتحرير، وعلى خلفية النشأة والاستمرارية، وقعت اصطفافات للعلماء والأتباع داخل هذه الجماعات التي شهدت صراعات داخلية على خلفية سياساتها وأيديولوجياتها أو بسبب صراعاتها مع الدولة الوطنية كان من نتائجها ظهور انشقاقات قوية تبلورت في صيغة:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- تيارات جهادية وطنية خاصة في مصر والجزائر وفلسطين ...؛
- تيارات عالمية كالقاعدة في أفغانستان والعراق ومجاهدي الشيشان وكشمير والفلبين وغيرها؛
- تيارات سلمية معارضة للدولة والحاكم تميزت بتاريخ جهادي أو قربها من الجهاد والمجاهدين إلا أنها تراجعت وباتت أقرب ما تكون إلى جمعيات ذات طابع إغاثي واستشماري كالإخوان في مصر والسرورية في السعودية؛
- تيارات إخوانية المنشأ والانتماء تحالفت مع السلطة حيث تكون كما هو الحال في أفغانستان والجزائر والعراق، وبقطع النظر عن هوية السلطة أو القوة ما إذا كانت محلية أو أجنبية غازية؛
- تيارات حليفة للدولة حملت أسماء رموزها كالمدخلية والجامية؛
- وتيارات ارتدت عن أهدافها ونشأتها ونبذت تاريخها وعقدت صلحا مع الدولة؛
- التيارات الإرجائية، وهم الذين يعتقدون اعتقاد المرجئة الأوائل على طبقاتهم ودرجاتهم، والقاسم المشترك الأغلب بينهم هو: إخراج العمل من مسمى الإيمان أي من حد الإيمان ... أي القول: بأن الإيمان هو الاعتقاد فقط، أو الاعتقاد مع القول باللسان فقط، أو المعرفة فقط.

ولا ريب أن العمل الإسلامي وفقاً لصيغ التيارات المعروضة معقد خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وجود تيارات إسلامية أخرى ذات طابع علماني! وأخرى تعلن تمسكها بالعلمانية كما هو الحال في تركيا وثالثة تروّج لما تسميه بالإسلام الليبرالي، وبالتأكيد فالأمر يزداد تعقيدا ويصبح عصياً على الفهم كلما توالت التصريحات والبيانات الصادرة عن التيارات والجماعات والعلماء والفقهاء وهي محملة بالتناقضات والفتاوى المثيرة إلى الدرجة التي يستحيل معها التصنيف والمراقبة وحتى الفهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ففي أي سياق شرعي، مثلاً، نضع عالم يفتي بحق فرنسا بحظر الحجاب؟ أو عالم يبيح إمامة المرأة؟ أو عالم يدافع عن الأمريكيين وجرائمهم؟ أو يفتي بجواز قتال الجندي الأمريكي المسلم للمسلمين!!وآخر يفتي بأن بول بريمر ولي أمر ولا يجوز الخروج عليه؟ وعالم يفتي بعدم جواز الدعاء على اليهود لأنهم أهل كتاب؟! ويحرم الجهاد ويكفر المجاهدين لأنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت حسب قوله؟! وعالم يطالب قادة المجاهدين ورموزهم بالخروج من سراديبهم وهو يعلم ما ينتظرهم؟ وعالم يدعو لدولة علمانية في فلسطين تجمع اليهود والنصارى والمسلمين ثم يتراجع ويقول دولة مدنية؟! وثاني يجيز الصلح المطلق مع اليهود؟ وثالث يتنكر لوجود جماعة جهادية من الأساس ويصف فكرها بالمنحرف وصنيعة الأمريكيين واليهود وفي نفس الوقت يبيح تناول المشروبات الروحية في الفنادق؟! وعالم يفتي بجواز إرضاع الموظفة لزميلها في العمل لتجاوز الخلوة؟ وعالم يعطي الحق للمسلم بالارتداد عن دينه؟ ويرى بالصحابة أشاعرة؟! ويقول إن عمر بن الخطاب أحول بطول ثلاثة أمتار؟ وعلماء يتساءلون عمن أجاز للقاعدة الجهاد باسم الأمة؟ وعلماء يؤيدون هذه الجماعة ضد تلك؟ وعلماء يهاجمون علماء ويجردونهم من علمهم لاختلافهم معهم في الرأي والتوجه؟ وعلماء يبترون الآيات القرآنية والأحاديث في أسانيدهم أو يقطعونها من سياقها؟ وعلماء يجهدون في تشويه الجهاد والمجاهدين ويفتون بعدم مشروعيته ولكنهم لا يبينون مرة واحدة متى يكون الجهاد فرض عين؟

كل هذا "العجب" بعرف السلفية هو ضلال مبين وتضليل وظلم للأمة وانحراف خطير في العقيدة، وعلى حد قول أبي يحيى الليبي في رده على مفتي السعودية لو صمت هؤلاء عن قول الحق لكان "خيرا لهم ولنا إذ أن للحق أهله"، ولكنهم اصطفوا يدافعون عن الباطل ويشرعون له ويروجون[1] ويهاجمون الجهاد وأهله، لذا فهي تستخدم توصيفات صارمة بحق أمثال هؤلاء العلماء والوعاظ والدعاة الذين تعتبرهم ممن حجبوا قول الحق

[1] شريط أبي يحيى الليبي: "توحيد آل سعود وتوحيد الحق"،مصدر سابق. وكذلك: - أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم): "قراءة وتعليق على رسائل وبيانات الشيخ أسامة بن لادن و الدكتور سعد الفقيه إلى الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين وعلماء بلاد الحرمين"، سلسلة قضايا الظاهرين على الحق (٥)،مركز الغرباء للدراسات الإسلامية والإعلام، بدون تاريخ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي أودعه الله فيهم وحرفوا وبدلوا في دين الله وتسببوا في هزيمة الأمة وقهرها، وفي أحسن الأحوال هربوا من الفصل في النوازل والقضايا المطروحة إلى العموميات[1] عبر تمييع الحكم الشرعي القابل للبناء عليه، وبالتالي فلا هم إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ولو اعتدلوا لتغيرت موازين القوى ومالت الكفة لصالح الإسلام والمسلمين، ولأنهم لم يفعلوا فلا بد من قول كلمة الحق فيهم والتخلص منهم باعتبارهم "علماء سوء" أو "تجار دين"، فمثلهم من يبرر أو يجادل أو يدافع عن ثقافة سايكس – بيكو ومنتجاتها، ومثلهم من يسهل عليه دعم سياسات الدولة والحاكم وتبني أطروحات الغرب في "تهذيب" الإسلام ونبذ التطرف ومحاربته، ومثلهم من أجاز غزو البلاد الإسلامية وشرّع لبناء قواعد عسكرية ضخمة على أراضيها ومنعوا أهل البلاد من مقاومتها وأحالوا أمر جهاد الدفع إلى ولي الأمر باعتباره الإمام وهو الذي لم يدعُ في يوم ما إلى نفير أو شارك في جهاد، ومثلهم من يجهد في إصدار فتاوى القعود والتشكيك بالمجاهدين وصولا إلى وصمهم بالإرهاب والخوارج ودعاة الفتنة. ومثلهم من ينتصر للوطن والنظام أكثر مما ينتصر للعقيدة والأمة[2] ، ومنهم من يروج لما يسميه بالإسلام الوسطي[3] المعتدل. ومثلهم من وصل بهم الأمر إلى حد السخرية من الجهاد والمجاهدين ومن كل مقدس ومحرم حتى أن بعضهم سار في ركب فتنة الجهاد والمجاهدين في ساحات مختلفة من الجهاد فامتطوا ظهور الدبابات الأمريكية

---

[1] الهروب إلى العموميات: "هو فنُّ المشايخ الذي يتقنونه بعد إتقانهم فنَّ الشّعارات، وإلا فأين هي أبحاثُ المشايخ التي تبينُ حكمَ الله في الأممِ المتحدةِ وميثاقها والشرعيّةِ الدوليّةِ ؟ وحكمَ الله في نظامِ الجنسيّةِ وترسيمِ الحدودِ والوطنية؟ ما حكمُ الله المفصّل في كلِّ هذه الأمور وغيرها مما تهرّبَ من الحديث عنها المشايخ؟ وكذلك ماذا قال الله في علاج ما ينتجُ عن هذه الأمور من أحكام ؟". أبو بكر ناجي، فتنة المصطلحات.. المصلحة والمفسدة نموذجاً، إدارة التوحش، ص ١٠٦.

[2] شريط أبي يحيى الليبي: "توحيد آل سعود وتوحيد الحق"،مصدر سابق.

[3] محمد أسعد بيوض التميمي، الوسطيون المحرفون لدين الله والحرب عى الإسلام؟؟ والوسطية في القرآن الكريم، ٢٠٠٧/٦/١٤. موقع الكاتب: http://www.grenc.com/a/mTamimi/show_Myarticle.cfm

والطريف في أمر هذا المفهوم أن تعميمه يشبه تعميم مفهوم "الأصولية" أو "التطرف"، ولكنه أكثر خطورة، إذ القول بالإسلام الوسطي يعني إسباغ الشرعية المفاهيمية على مقولات من نوع إسلام متطرف وإسلام ليبيرالي وإسلام عميل وهكذا، وجعل الإسلام عبارة عن مراتب ودرجات بعضها محمود وبعضها الآخر مذموم، فبأية صيغة يكون الدين عند الله الإسلام؟ ففي الماضي كان الإشكال في العالم الإسلامي يمس الفرق الضالة والمنحرفة ولم يكن يمس الإسلام مطلقا، أما في عصرنا الراهن فالتوصيفات تنسحب على الإسلام بوصفه عقيدة أو ديانة منحرفة تدعو إلى القتل والعنف، حتى بات من يتحرج من الاتهامات يجاهر بالزعم أنه من أصحاب الإسلام الوسطي وكأن الإسلام بالنسبة له بات تهمة ينبغي الهروب منها عبر مسميات أخرى ليست، بشكل أو بآخر، سوى إقرار بالمثالب التي يُرمى بها من القوى المعادية. وفي مقالة أخرى للكاتب سبقت الإشارة إليها يشن "التميمي" هجوما شرسا على الشيخ يوسف القرضاوي بوصفه إماما لما يسمى بالوسطية قائلا (مع بعض التصرف): " سمعت الشيخ القرضاوي في حفل تنصيبه إماما (للوسطية) انه يُريد أن يجمع ويُوحد الأمة بشتى اتجاهاتها من (إسلاميين ويساريين ووطنيين وقوميين وليبراليين وجميع أصحاب الأيديولوجيات), فلا ادري كيف اعتبر هؤلاء من (أمة واحدة) ... فأي أمة التي تجمع هؤلاء أصحاب الأيديولوجيات المتناقضة؟ هل هي الأمة العربية أم الأمة الإسلامية؟ ... فكل فئة من هذه الفئات تشكل أمة وحدها, وقال أنه يُريد أن يأخذ من كل فئة أحسن ما لديها وحتى من الديانات الأخرى ليُكون (الأمة الوسط) ذات الدين الوسطي الذي يدعو إليه والقائم على تحريف معنى الوسطية التي أرادها الله، وهذه الأمة التي يدعو لها لا يُمكن أن تكون الأمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى ... إن كثيرا من هذه الفئات تكفر بالله ولا تعبده وتعتبر الإسلام أفيون ورجعية وتخلف وظلامية يجب القضاء عليه ... فكيف يريد القرضاوي أن يكون إماما لهذه الأمم؟ أم انه يؤمن بوحدة الأديان والأيديولوجيات والعقائد والشرائع والمناهج؟"، راجع مقالته: "مفاهيمنا ومصطلحاتنا: مفهوم الأمة والهوية"، مرجع سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشاركوا في الحكومات العميلة وشرّعوا لقواعدهم الفتك بالمجاهدين ومحاربتهم وكشف مخابئهم وإعانة المحتل عليهم، وكل ذلك تحت بند الاجتهاد[1]!

لكن المشكلة الحقيقية ليست في هذه التوصيفات التي تعج بها أدبيات السلفية الجهادية بل فيمن يصنعها، ولعل أبرز من تنبه لإشكالية من هذا النوع كان الشيخ أبا محمد المقدسي الذي خصص مؤلفا ثقيلا رفض فيه النظام التعليمي ومخرجاته برمته، وحمله مسؤولية الفشل والضلال والجهل الذي تعانيه الأمة في دينها ودنياها[2]. إذ أن هذا النظام صمم، ابتداء من المدرسة وحتى الجامعة، ليفرز شرائح واسعة من العلماء والفقهاء وطلبة العلم ذوي النزعة القطرية ممن يتمتعون بهوى وبمواصفات تميل إلى المسكنة والدِّعة والراحة ولا تأبه للجهاد والمشقة.

والثابت أن مواقف العلماء والفقهاء تجاه الأحداث الكبرى تختلط وتتناقض رغم تشابهها إلى حد التطابق، وتتأرجح بين التأييد العلني تارة للجهاد والمجاهدين وبين الخضوع لسطوة السلطان تارة أخرى وبين التطوع لعداء سافر أو الانزواء، فمن بين المواقف صدور فتاوى تدعم الجهاد في أفغانستان وتحرض عليه وتدعو للنفير لرد الاحتلال الشيوعي بما في ذلك فتاوى مماثلة ضد جرائم الشيعة في العراق وما يسمى بالمشروع الصفوي في المنطقة، ولكن ثمة فتاوى أخرى نفَّرت من الجهاد في العراق بحجة غياب الإمام والراية، وليس مفهوماً كيف يتمتع الشيعي بامتياز المجاهدة ولا يكون للغازي والمحتل المعاملة بالمثل! ومنهم من أفتى باعتبار القوات الأجنبية مستأمنة في بلاد المسلمين، وآخرون أفتوا بمقاتلتهم إبان حرب الخليج الثانية.

لا شك أن مثل هذه الفتاوى تجعل من حسم الموقف مع العلماء مهمة عسيرة على السلفية الجهادية ومريرة، لكن ملاحظة تمايز بينهم على أساس قربهم أو بعدهم عن الجهاد والمجاهدين يمكن أن يسهل المهمة ويضيق الخناق على من يسميهم د. أيمن الظواهري

[1] من المثير حقا أن تصدر مقالة تعتبر تحالف بعض أجنحة الإخوان المسلمين مع الأمريكيين في أفغانستان وخاصة العراق أو مع الأنظمة القمعية في الجزائر مجرد اجتهادات قد تصيب أو تخطئ! راجع، كمثال، مقالة: أسامة البغدادي، "حرب القاعدة على الإخوان ..العراق أنموذجا"، مع ملاحظة أن ذات المقالة جرى الترويج لها على نطاق واسع كما لو أنها حظيت بمباركة رسمية.

[2] أبو محمد المقدسي،إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس، موقع منبر التوحيد والجهاد: http://www.tawhed.ws.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بـ"علماء السوء" ويتيح لها الاستفادة من علمهم وتوسيع دائرة العلماء العاملين، فهم ليسوا صنفا واحدا ولا يمكن أن يكونوا كذلك، فثمة:

١) صنف جهادي عامل، التحق بساحات الجهاد وعمل بها لسنوات طويلة وما يزال على حاله، ومثل هؤلاء فقدوا كل الدنيا وما فيها وتفرغوا للجهاد في ساحاته وميادينه.

٢) صنف جهادي يشرِّع للجهاد والمجاهدين ويدعم أطروحاتهم ويصدع بمواقفه غير آبه بأية عواقب، حتى أن أغلبهم يقبع في السجون أو أنه دفع حياته ثمنا لفتاواه.

٣) صنف جهادي يختلف مع السلفية الجهادية وبعض نشاطاتها المسلحة في العالم. وهذا الصنف يدخل في نطاق العلماء المؤيدين للجهاد والمجاهدين إلا أنهم لا يستطيعون الجهر بأطروحاتهم، ومثل هؤلاء ممن رفضوا إدانة القاعدة في العراق خشية انقسام أهل السنة ولعدم وجود أدلة دامغة على الدعاوى المرفوعة ضدهم يشكلون في الواقع مع غيرهم صمام الأمان للمشروع الجهادي برمته رغم ملاحظاتهم الكثيرة عليه واختلافهم حتى مع رموز القاعدة.

٤) صنف له تاريخ جهادي ولكنه خضع لضغوط السلطة وبات بعضه ينفذ ما يطلب منه، وأحيانا تصدر منه فتاوى غالبا ما تكون بلغة السلطة والخصوم، بل أنه أدان تاريخه بالكامل ويجهد لتبرير اختياراته ويدعو إلى الاقتداء بها.

٥) صنف رسمي متذبذب ولكنه أميل إلى خطاب السلطة ولا يتوانى عن التصريح بما يطلب منه أو القيام بأي عمل يخدم سياسة الدولة وتوجهاتها بحجة طاعة ولي الأمر.

٦) صنف معادي بمبادرة ذاتية منه، واشتهر بعدائه للجهاد والمجاهدين وبتمييعه للدين عبر إصداره لفتاوى متطرفة لا أساس لها من الشريعة، وبتخليه شبه التام عن قضايا الإسلام والحرب الشعواء عليه من قبل الغرب واللادينيين، ولم يعد يضيره أن يكون في صف القوة الغاشمة حيث تكون، ولا يضيره التطوع في القول دون أن يطلب منه أحد التدخل، ولا يتورع عن نصرة أعداء الإسلام عبر التقليل من إساءاتهم وتهجماتهم على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلام كعقيدة ودين وعلى المسلمين، ومثل هؤلاء تسميهم السلفية الجهادية بـ"المنافقين".

٧) صنف يوصف بالقصاصين المنبوذين في التاريخ الإسلامي، وهؤلاء قدموا الدين كما لو أنه قصص وحكايات على حساب الحكم الشرعي مبتعدين طواعية عن قضايا الأمة، ومثل هؤلاء جاهروا بعدائهم للجهاد والمجاهدين وسخروا منهم، وهم مَنْ فتحت لهم الأبواب وأجيز لهم التنقل بين أرجاء العالم واستخدموا في إلقاء المحاضرات وعقد الندوات مبشرين بالإسلام الحضاري والمعتدل، بل أن بعضهم منح الجوائز والألقاب.

وفقا لهذه التصنيفات فمن السهل معرفة جبهة المجاهدين والمناصرين من العلماء والفقهاء وجبهة المخالفين والأعداء منهم، على أن السمت الرئيس في العلاقة ما بين العلماء والسلفية الجهادية يبقى مركزا على وجوب الالتزام بثنائية "العلم للعمل"[١] لأنه لا قيمة لعلمٍ دون عمل (الجهاد والصدع بالحق)، ولا قيمة لعلمٍ يوظفه حامله لإلحاق الأذى بالأمة، ولا قيمة لعلمٍ الولاء والبراء فيه لسايكس - بيكو. غير أن للعلماء والفقهاء أكثر من نقطة قوة تشكل بالنسبة للسلفية الجهادية نقاط ضعف كبيرة والعكس صحيح، أبرزها:

- طلبة العلم[٢]:

بعض هؤلاء غالباً ما يتسببون بإثارة الخلافات والانقسامات ويشيعون الأحقاد والضغائن إما بسبب ضعف علمهم أو تعصبهم لمشايخهم وإما لأنهم يتلقون علوما شرعية فيها اجتهادات متنوعة لقضايا حساسة أو حتى بسيطة بحيث يحل الاجتهاد بديلاً عن النص وسعته، وبديلاً عن أية اجتهادات أخرى، وإما لأنهم ممن تأخذهم العزة بالإثم فيتصدرون قبل أن يتأهلوا ويتنمرون[٣] بما يعتقدون أنه سلطان العلم.

- الحصانة:

[1] أسامة بن لادن، شريط "العلم للعمل"، مرجع سابق.
[2] لاحظ مدى تذمر أبو مصعب السوري من موقف طلبة العلم وتعصبهم في أفغانستان.
[3] الشيخ بكر عبد الله أبو زيد، حلية طالب العلم، ص ٤٢، http://saaid.net/Warathah/bkar/index.htm.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من البديهي أن يتمتع العالم أو الفقيه بعلم شرعي مرموق، ومن الطبيعي أن يستمد هيبته أو حصانته من الرصيد العلمي الذي يتمتع به، ولكن الإشكال يكمن في النظر إلى العالم وكأنه يتمتع علاوة على حصانته العلمية بحصانة شرعية تجعله معصوما[1] من الوقوع في الزلل والخطأ، وللمسألة أكثر من مشهد نورد بعضها:

١) مشهد عالم من المفترض أنه موثوق يفتي في نازلة على نحو مخالف لما هو مألوف أو مفاجئ فتكون الردود متوافقة مع الفتوى، أو متحفظة بحجة أن العالم لا يرد عليه إلا عالم وهذا موقف منطقي، لكن مقولة " اتقوا لحوم العلماء فإن لحومهم مسمومة" حدث فيها مبالغة وتعسف في استعمالها فيما يبدو، وباتت كالسيف المسلط على من يعارض الفتوى أو ينتقدها خاصة ممن هم أقل درجة وكأن ما يحق للعلماء، حتى لو كان فيه اعوجاج، لا يحق لغيرهم وإن أصابوا.

٢) مشهد عالم راسخ في العلم، وخدم في علمه العقيدة والدين والمسلمين وانتشرت كتبه وفتاواه حتى بلغت أقاصي الأرض وباتت مراجع أساسية كبرى يتدارسها العلماء والطلبة على حد سواء ويرجع لها في الحكم على النوازل، لكن مواقف هذا العالم في قضايا سياسية وشرعية كبرى كالجهاد والحاكمية والقوى الأجنبية وغيرها مما يلتبس على العامة والخاصة إما أنها قريبة من السلطة أو متطابقة معها أو مختلطة أو ذات معايير مزدوجة، هذا النوع من العلماء ممن ذاع صيتهم بين الأمم غالبا ما يتسببون بانقسام الأمة التي تنتظر القول الفصل على ألسنتهم ثقة بسعة علمهم، ومع ذلك يصعب الطعن بهم دون ثمن باهظ، بل يحظون بالتماس العذر حتى من أتباعهم فيما لو ثبت عليهم من الزلات ما هو عظيم الأثر. فمن يجيز الصلح مع اليهود سيكون أقرب إلى الحث على التفتيش عن وسائل السلامة معهم من قربه إلى وجوب قتالهم. وأخطر ما في فتاواهم أنها لا تأخذ بعين الاعتبار عامل الزمن. فمن يجيز الصلح الدائم (التطبيع) مع اليهود مثلا عليه أن يعرف مقدار صمود الفتوى ومدى مطابقتها للشريعة وإلا ففي حال سقوطها فالمشكلة ستكون

[1] أسامة بن لادن، شرح حديث كعب بن مالك، شريط مرئي، مؤسسة السحاب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبالاً على الأمة خاصة وأنها ستغدو سابقة يقاس عليها ولو بعد ألف عام بحجة أن راسخاً في العلم أفتى في يوم ما.

٣) مشهد عالمٍ حتى لو كان عاملاً إلا أن تلامذته يتبعونه فيما يذهب إليه من أقوال وأفعال ومذاهب، ويحيطونه بهالة من القدسية والعظمة. فإذا التحق بالجهاد لحقوا به وإذا قعد عنه قعدوا معه وإذا نكص على عقبيه نكصوا معه وإذا أخطأ التمسوا له ما لا يلتمسون لغيره من الأعذار، وبما يفيض عن حاجته، أما صعوبة التعامل مع هذه الحالة فتكمن في تلامذته ومريديه الذين يشكلون بالنسبة له، شاء أو أبى، ما يشبه الحصانة بحيث يترصدون كل نقد يصيبه أو نصيحة توجه له. وفي هذه الحالة التي يُنتظر فيها من العالم أن يحمي الأمة والدين نراه حين يتزلق يحتاج إلى حماية من أتباعه ويركن إليهم!

٤) مشهد عالم لا يعنيه الموقف الشرعي فيبرر التعامل الصريح لجماعته أو حزبه مع العدو أو إعانته بمجرد اجتهاد سياسي قد يصيب وقد يخطئ رغم ما يتسبب فيه مثل هذا الموقف من انقسام في الأمة وتضليل للعامة، والإشكال أن هذا العالم يجر معه القاعدة إذا ما كان في موقع القيادة. والأسوأ أن أغلب مكونات القاعدة تلحق به وتدافع عن خياراته كما لو أن مرجعيتها الحزبية أقوى من أية مرجعية أخرى بما فيها الشريعة.

وحقيقة فالمشاهد كثيرة في هذا السياق، وغالبا ما تفشل المناقشات والردود ومحاولات بيان الموقف الشرعي في تحقيق أية نتيجة تذكر حتى لو احتمت السلفية الجهادية بنصيحة الإمامين أحمد بن حنبل وابن المبارك[1] أو احتجت بعقيدة الولاء والبراء أو بمقولات من نوع: "الحق يعرف بالحجة ولا يعرف بالرجال" أو "كل قول يؤخذ منه ويرد إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "، فالخلاف قد يطال أهل الثغور أنفسهم مثلما يطال الحق نفسه دون أن تسلم عقيدة الولاء والبراء من الاجتهاد وحتى الطعن.

[1] أثر عن الإمام أحمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك، كما ورد في الفتاوى ٢٨ / ٤٤٢ لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، قولهما: "إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغور فإن الحق معهم" لأن الله يقول: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}(العنكبوت ٦٩). وحتى هذا القول المأثور ثمة من ينقضه بحجة أن أهل الثغور ليسوا معصومين رغم أن أحدا لم يقل بهذا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن نقطة القوة لدى السلفية الجهادية تكمن في دعوتها المفتوحة والمستمرة للعلماء للالتحاق بساحات الجهاد بدلا من إصدار الفتاوى التي تطعن في الجهاد عن بعد. وحجة السلفية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في مقدمة الجيش الإسلامي في غزواته وفتوحاته و لم يكن متخلفاً في يوم ما، كما أن الصحابة والعلماء من بعدهم كانوا على الدوام في صفوف الجيش. إذ هو واجب شرعي أولا على كل المسلمين علماء وعامة، فضلا عن أن ساحات الجهاد لا تخلو من أخطاء، والمجاهدون كغيرهم من البشر ليسوا معصومين فيمكن أن يصيبوا أو يخطئوا، وبدلا من التجرؤ عليهم كان من الأولى بالعلماء ألا يفارقوا الجهاد والمجاهدين ويفتوا في أمورهم عن بينة، وأن يكونوا عونا لهم لا عليهم، وحينها يمكن محاصرة الفتن ووأدها في مهدها عبر بيان الحكم الشرعي بناء على الظروف والواقع وليس عبر الاستماع من هنا وهناك وما يترتب على ذلك من قصور في الصورة وربما تجني من طرف على آخر[1]. غير أن مثل هذه الدعوات التي تتكرر في كثير من خطابات رموز السلفية الجهادية وتعج بها كتاباتهم بصورة كثيفة للغاية[2] لم تلق آذانا صاغية بالشكل المرجو الوصول إليه حتى الآن، بل أنها تلقى تجاهلا وصدودا وبعضها لا تخلو من ريبة وهي تطالبهم بـ "الخروج من سراديبهم لمباهلة العلماء ومجالستهم"![3].

[1] عابد بن عبدالله البغدادي (أبو حارثة)، المجاهدون في العراق والشرك المميت، الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية، الإصدار الأول: سلسلة ... نصيحة الجهاد إلى من نحسبهم خير العباد – صفر ١٤٢٨. وفيه "دعوة إلى علمائنا ومشايخنا بأن يأخذوا الحذر في سماعهم لأخبار الجهاد والمجاهدين في العراق ، فالمنافقون وأصحاب الحظوظ والأهواء لا يجدون صعوبة في الوصول إليكم ، وإسماعكم أخباراً كاذبة عن المجاهدين وخلافاتهم ، كذباً تارة وتهويلاً تارة أخرى بغية إبعادكم عن دوركم في نصرة المجاهدين هناك أو دفعكم للوقوف إلى جانب فصيل ضد آخر، فالحصول على المعلومات الصحيحة عن مجريات الأحداث هناك ليس صعبا إذا توخيتم اختيار الأشخاص الثقات من الذين ينقلون لكم الأخبار بأمانة وصدق وإخلاص".

[2] أبو حمزة المهاجر، شريط مرئي موجه إلى علماء الأمة يدعوهم فيه إلى الالتحاق بساحات الجهاد وعدم التخلي عن المجاهدين. وكذا تأكيد الدعوة مؤخرا من الشيخ أبو الليث الليبي في مقابلته المرئية مع مؤسسة السحاب، ٢٠٠٧/٤/٢٧ الموافق ربيع الآخر ١٤٢٨هـ.

[3] "وجه الدكتور يوسف القرضاوي دعوة لشباب ومجاهدي تنظيم القاعدة بالخروج من سراديبهم ليتناقش معهم ومناظرتهم، ودعاهم لمجالسة العلماء ومخالطة الناس. ووصف مجاهدي القاعدة بأنهم "شبابا مفتونين" ودعاهم، (من على قناة الجزيرة) - تعليقا له على تفجيرات الجزائر أن يثوبوا إلى رشدهم، ويراجعوا فهمهم المغلوط، ويخرجوا من سراديبهم المظلمة، ويجالسوا العلماء ويناقشوهم، ويدَعوا فكر الخوارج الذي استباح دماء المسلمين"، وفي الواقع فقد أثارت الدعوة استهجاناً وردود فعل سلبية بالنظر إلى لا معقولية الدعوة لدرجة أن أحد الكتاب وجه دعوى للقرضاوي، لا تخلو من سخرية، قائلا له: "دعوة للدكتور القرضاوي: أخرج من قصورك لمناقشة القاعدة في سراديبهم"، راجع مقالة الكاتب: عبد الإله حيدر الشائع على مدونته: http://abdulela.maktoobblog.com/?post=320475.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحور الثاني: صناعة القيادة

خصصت أمريكا عشرات الملايين من الدولارات للقبض على خصومها من السلفية، فكان نصيب بن لادن والظواهري ٢٥ مليون دولار لكل منهما ثم ٥٠ مليون لابن لادن والزرقاوي ٢٥ مليون والسوري ٥ مليون ... ولا شك أن المكافئات تتوالى بسخاء لمن يدلي بأية معلومات تؤدي إلى اعتقال أو قتل قادة القاعدة. فالولايات المتحدة تعتقد كما غيرها أن تصفية الرموز يمكن أن يؤدي إلى انهيار التيار الجهادي وربما اندثاره أو على الأقل تخريب مخططاته لسنوات طويلة وضربه في الصميم. ولكن لأننا نعتبر أن الظاهرة غير مألوفة فمن الطبيعي أن تكون سبل المواجهة التقليدية معها غير مألوفة وإلا فهي أقرب إلى الفشل من أي نجاح محتمل. أما لماذا؟ فلأن هذا هو بيت القصيد.

ففي حين كَلّ رموز القاعدة وكبار كتابها ومفكريها من الحديث عن القيادة إلا أن البحث العلمي في المسألة ظل راكدا على نحو مريب، ولعل في المسألة ما يبرر العزوف عن التصدي لها، ذلك أن في الأمر صعوبات وتعقيدات غير مألوفة. فلمن يتوجه البحث؟ وفيمن يبحث؟ وأية آليات يمكن سلوكها؟ وعن أي نمط من القيادات يمكن أن نفتش؟ وكل ما لدينا جماعة تقول أن منهجها هو الشريعة؟ أليست الشريعة هي منهج الجماعات الإسلامية كافة؟ فما هو الجديد إذن؟ وأين التميز في الأطروحة السلفية؟

إذا اعتبرنا الأطروحات الواردة في المحور الأول من المسلمات، وهي كذلك بما أنها تنطق بلغة السلفية الجهادية وجوهرها، فالجديد والتميز يكمن في مسألة الراية من جهة وفيمن يرفعها من جهة أخرى، وهما وجهان لعملة واحدة. **والسؤال هو: أي نوع من الرايات أو القيادات ستحمل تميزا عما سبقها؟ وبأي محتوى وشروط؟**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا: الراية، للأمة؟ أم للجماعة؟:

منذ مائتي عام أو أكثر فقدت الأمة رايتها فخسرت ما لم تخسره أمة من الأمم في تاريخها، خسرت وحدتها وهويتها وخلافتها وبعض أوطانها وثرواتها وكرامتها وصارت مرتعا خصبا للقوى الصائلة، فما من دولة قادرة على حماية نفسها وما من نظام سياسي بمنأى عن التهديد أو الإطاحة به وما من جيش صمد في معركة صغيرة أو كبيرة وما من أمن يخيم عليها، فالكل مستهدف والكل ضعيف حتى الفرد بات مكشوف الظهر في بلاده وخارجها.

لو استطلعنا بعض دول العالم لوجدنا في فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وأمريكا والمكسيك والبرازيل والصين وغيرها من البلدان راية واحدة حتى لو كان في كل منها ألف حزب، فالانجليزي إنجليزي والفرنسي فرنسي والإيطالي إيطالي أما العربي فيمكن أن يكون مصرياً وسعودياً وفلسطينياً وتونسياً ويمنياً وسورياً وعراقياً، وهذا الأخير يمكن أن يكون شيعياً وسنياً ونصرانياً ومسلماً وأرمنياً وعربياً وكردياً وابن الرافدين وجنوبياً وشمالياً وبعثياً ووطنياً وإسلامياً وعلمانياً ومعارضاً وموالياً وقس على ذلك بقية البلدان. فكم من الرايات رُفعت؟ وكم من الرايات وولیت؟ وكم من القيادات أنوجدت؟

ولما يجتمع العرب على عدو، وهم في رحاب سايكس – بيكو، فهل يمكن تصور كم من الأيديولوجيات والرايات تُرفَع؟:

على الصعيد المحلي ثمة:

- الماركسية بأنواعها اللينينية والستالينية والماوية والتروتسكية والفيتنامية والكوبية؛
- والإسلامية بأنواعها الإخواني والصوفي والدعوي والتحريري والجهادي والسلفي الرسمي؛
- والوطنية بأنواعها الثورية والسلمية والشعبية والشخصيات الوطنية والوجهاء والأعيان والقبائل والعشائر والحمائل والعائلات الكبرى والطوائف والأديان والمذاهب والإثنيات!؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- والقومية بأنواعها الرجعية والتقدمية والاجتماعية والجماهيرية؛
- والرسمية بمؤسساتها من رأس الدولة مرورا بالجامعة العربية حتى البرلمانات والنقابات؛

وعلى الصعيد الدولي فالرايات تُرفع بحسب الطلب فتارة تكون:

- راية الأمم المتحدة والمجتمع الدولي والشرعية الدولية؛
- وتارة تكون الأصدقاء والشرفاء والأحرار في العالم والمنظمات غير الحكومية؛
- وتارة يكون الاتحاد السوفياتي والصين وحركة عدم الانحياز وحركة التضامن الأفرو - آسيوية وهلم جراً.

كل هذه الرايات التي صنعها الغرب أصلاً ولا يحتاجها إطلاقاً تشبه مؤسسة في دولة فاشية يذهب إليها مواطن ليقضي فيها حاجته فينجح مرة ويفشل عشرات المرات وقد لا ينجح إلا بانتزاع الوعود الكاذبة من السماسرة تماما كما هو حال القضية الفلسطينية التي لم تنجح بانتزاع أو تطبيق قرار واحد منذ وجدت.

والعجيب أن الرايات الوطنية والأيديولوجيات العلمانية والإلحادية نجحت في مواطن نشأتها بينما فشلت في البلاد العربية. فقد نجحت في أغلب الثورات الآسيوية وفي الصين والهند وروسيا وأوروبا، وفقط في العالم العربي فشلت، ورغم الفشل الذريع والهزائم المنكرة التي يتلقاها العرب والمسلمون على يد القوات الأمريكية والصهيونية وأحلافهما منذ عقود ثمة من يتمسك بعْدُ بالرايات القطرية والقومية واليسارية وحتى الإسلام الوطني الذي غدا أقرب ما يكون إلى الأيديولوجيا! وهي في طريقها إلى التعليب، ولم يسأل سائل: لماذا نفشل دائما حيث ينجح الآخرون؟ فلا راية اهتدت إلينا ولا نحن اهتدينا إليها. **ببساطة: من يستطيع جمع الأمة على راية واحدة من هذه الرايات[1]؟ ولماذا لم**

[1] قارن مع بيوض التميمي، "مفاهيمنا ومصطلحاتنا: مفهوم الأمة والهوية"، مرجع سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تجتمع طوال عقود عليها أو على واحدة منها؟ فهل من السنن أن نفشل[1]؟ أم أن الإسلاميين بالذات هم من فشلوا حين خالفوا السنن فيما نجح غيرهم؟

بالتأكيد ليست الراية عند السلفية الجهادية مجرد قطعة قماش مطرزة بألوان تميزها عن غيرها من الرايات، وليست محض رموز تشحذ الهمم، بل هي مضمون جرى انتزاعه وتمزيقه شر ممزق، وجوهر حضاري تم تفكيكه، ورسالة سماوية جرى تعطيلها وعقيدة مغيبة ودين محارَب وأمة مفتتة غدت كغثاء السيل، وحرمات منتهكة، وعدالة مسلوبة وظلم واقع ... الخ إنها باختصار إشكال وجودي يجعل من الإسلام والمسلمين في مهب ريح القوى العظمى ما لم يتم تدارك الأمر. ولكن من هو المعني بالراية؟ ومن هو عدوها؟

من الأهمية بمكان ملاحظة أن جماعة ترفع راية التوحيد لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تقبل بوجود رايات علمانية من أي نوع كانت وإلا فلا مبرر لرفعها أصلاً. لذا فالسلفية الجهادية، برفعها راية التوحيد، يعني أنها تحررت من كافة الأطر الحزبية والتنظيمية والمؤسساتية والجغرافية الضيقة[2] وتحصنت في أطر لا تتسع لها السموات والأرض، وبالتالي إذا لم يكن من مجال لحضور سايكس – بيكو ومشتقاتها فلا مجال لتجاهل التوحيد حيث يحضر ويكون[3]. وعليه تجهد السلفية في التركيز على تمييز رايتها باعتبارها راية الأمة لتلغي كل الحدود الجغرافية والجنسيات والملل والنحل مستعيضة عنها بأمة التوحيد أينما كانت وتواجدت. وفي مثل هذه الحال فالراية هي راية المسلم الشيشاني والكشميري والباكستاني والعربي والآسيوي والأمريكي والأوروبي والأفريقي وحتى المسلم المريخي إن وجد، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

[1] يفضل العودة إلى أبي بكر ناجي في تأصيله لقيام الدول وكيف فشلت الجماعات الإسلامية التي يسمها بـ"جماعات كف الأيدي" عن الأخذ بالسنن الكونية محتجين بأن الدولة يجب أن تبنى على الطريقة النبوية، ولهذا فقد أضاعوا فرصا كثيرة "وما زال أهل الإسلام يتناظرون ويتشاجرون حول الطريقة المثلى لإقامة الدّولة الإسلاميّة ؟!! وكلّ المتناظرين يزعمون أنّ دليلهم فيما يقولون من إقامة الدّولة الإسلاميّة مشتقّ من الطّريقة النّبويّة ... ومازال الكثير من أهل الدين يجمع الناس ليحدّثهم عن الطريقة المُثلى في إسقاط الطواغيت، أو الطريقة المثلى في إحياء دولة الخلافة". أنظر مقالة: أبو بكر ناجي، "السنن الكونية بين الأخيار والأغيار"، إدارة التوحش، ص ٩٧.

[2] لاحظ خطاب الظواهري (المعادلة الصحيحة، مصدر سابق) وهو ينتقد الأحزاب العلمانية التي حشرت نفسها في أطر ضيقة بديلا عن العقيدة وكذا بعض القوى الإسلامية التي انضوت في إطار الجماعات والهيئات والمؤسسات الإسلامية فصارت عبئا عليها وكبلتها بقيودها.

[3] ٥٦) من المحبذ العودة إلى: بيوض التميمي، "مفاهيمنا ومصطلحاتنا: مفهوم الأمة والهوية"، مرجع سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطريف في مسألة الراية المرفوعة هذه ليس التشكيك بسلامتها إنْ كان بها من اعتراف أصلاً من قبل الخصوم. بل بإنكار بعض العلماء لها، ونسبة مجاهديها لمن **"يقاتلون في سبيل الشيطان"**[1]**!** أو التصريح بأنهم **"عملاء للاستعمار والصهيونية العالمية"**[2]، أو أن **"بن لادن إنسان تافه"**[3]**!** ولا شك أن مثل هذه الفتاوى والتصريحات تندرج في سياق الخصومة مع السلفية الجهادية أكثر من اندراجها في أية سياقات موضوعية ناهيك عن اندراجها في أية سياقات شرعية أو حتى ذات طابع شرعي[4]. إذ أن مثل هذه التصريحات والفتاوى تعني أن الراية غير موجودة أو على الأقل غير صحيحة وبالتالي فلا جهاد جائز ولا مقاومة ممكنة؟ وتعني بقاء التساؤلات المطروحة بلا إجابة: ما العمل إذن؟ هل يجدي القعود والأمة في حطام؟ وهل يجدي الطعن في الجهاد والمجاهدين وتكفيرهم بينما العدو يصول ويجول في أفغانستان والشيشان وفلسطين والعراق والصومال وقواعده العسكرية رابضة على أجزاء من البلاد ثم يقال هؤلاء موجودون في إطار المعاهدات والاتفاقات الثنائية؟ هل تستطيع دولة أن تمنع الأمريكيين من استخدام أراضيها ومطاراتها في ضرب أية دولة أخرى من المفترض أنها شقيقة أو صديقة؟ هل من العقلانية والمنطق أن يجتهد بعض العلماء في الطعن بالجهاد الحاصل ولا يجتهدون في بيان سلامته؟ أو متى يكون صحيحا ومتعينا؟

كل هذه التساؤلات وغيرها ستظل بلا إجابة، وإلا فما هي الإجابة التي يحصل عليها العامة، مثلا، لما يفتي عبد العزيز آل الشيخ بأن المجاهدين يقاتلون في سبيل الشيطان أو الطاغوت؟ فمن هو الطاغوت المقصود؟ وما هي مواصفاته؟ وإذا كان الأعداء الصائلين

---

[1] خطبة المفتي العام للسعودية بجامع الأمير تركي بن عبدالله، على موقع البث الإسلامي: http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=38624 .

[2] تصريحات علي عبدالله صالح التي وصف فيها بن لادن والظواهري بأنهما "عملاء للاستعمار والصهيونية العالمية وأنا أشك وأستغرب كيف لم تتمكن المخابرات الدولية من القبض على هؤلاء العملاء حتى الآن"، وتأتي هذه التصريحات في أعقاب ما عرف بتفجيرات مأرب في ٢٠٠٧/٧/٤ بواسطة سيارة مفخخة استهدفت بانفجارها ١٣ سائحا إسبانيا قتل منهم سبعة واثنين من الأدلاء اليمنيين، صحف ووكالات.

[3] الأمير نايف بن عبد العزيز (وزير الداخلية السعودي)، صحيفة الشرق الأوسط السعودية بتاريخ٢١ / ٩ / ٢٠٠٦ في العدد ١٠١٥٩.

[4] يمكن المقارنة في السياق بفتاوى على النقيض تماما من فتوى عبد العزيز آل الشيخ، ففي ٢٠٠٤/١١/٦ وجه ٢٦ عالما سعوديا بيان النصرة الشهير لأهل السنة في العراق، وفيه فتاوى تشرع لحق الشعب العراقي في المقاومة واعتباره في حالة جهاد الصائل، ويدعو الأمة إلى نصرتهم. على موقع إسلام أون لاين http://www.islamonline.net/arabic/news/2004-11/26/article06.shtml. ولقي البيان دعما مماثلا من ٢٦ عالما يمنيا في ٢٠٠٤/١١/٢٦. وكذا بيان العلماء الـ ١٣ بتاريخ ١٨ نيسان / أفريل ٢٠٠٧حمل اسم "نداء للمجاهدين في العراق" في أعقاب تفجر الخلاف بين دولة العراق الإسلامية والجيش الإسلامي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ممن فتتوا الأمة واحتلوا أرضها ومزقوا نسيجها الاجتماعي ونهبوا ثرواتها ودنسوا مقدساتها ليسوا من الطواغيت فمن يكونون إذن؟ وما علاقة طاغوت الفتوى بطاغوت القوى الغازية؟ أم أن هذه القوى ليست من الطواغيت؟ ثم كيف اتضحت هوية من **"يدعوا الجهاد"** عقدياً وفكرياً وسلوكياً بينما لم تتضح هوية طاغوتهم الذي يقاتلون في سبيله؟ ونفس الأمر ينطبق على تصريحات الرئيس اليمني. فالمرء يحتار فعلا حين تخرج تصريحات بهذا المستوى من العجب. فقد يمكن تفهم اتهام الظواهري وابن لادن بأنهم عملاء الاستعمار والصهيونية العالمية وهو ما يحلو للبعض التغني به وكأنه من المسلمات، ولكن من هي المخابرات الدولية التي فشلت في إلقاء القبض عليهما إن لم تكن تنتمي إلى القوى الاستعمارية والصهيونية؟

على كل حال فرغم أن مرحلة الجهاد الأفغاني الأول أكد على عالمية الإسلام والجهاد والقضايا الإسلامية إلا أن راية السلفية الجهادية لم تكن قد تبلورت بعد بهذا الوضوح الذي نعيشه إلا مع انطلاقة المرحلة الثانية على يد حركة طالبان التي استضافت رموز وقادة القاعدة. وبقطع النظر عن خلفية ما يروجه البعض من الجماعات والكتاب فيما يتعلق بالتوجه الجديد للسلفية الجهادية نحو العالمية فإن الإعلان المدوي عن تشكيل **"الجبهة الإسلامية العالمية لمحاربة اليهود والصليبيين"** سنة ١٩٩٨ كان له القول الفصل في:

(١) إظهار الراية للأمة خاصة وأن الرايات الأخرى إما أنها تراجعت وإما أنها سقطت؛

(٢) إعادة التأكيد على هوية أعداء الأمة ردا على من بات يعتبرهم أصدقاء أو حلفاء أو أمرا واقعا.

وبالتالي تحديد وجهة الراية عبر الجمع بين اليهودية العالمية بما فيها إسرائيل والقوى الغربية الصليبية باعتبارها القوى الصائلة في بلاد المسلمين. أما خلفيات هذا التحديد فيقع في السياقات التالية:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- الربط بين المساجد الثلاثة باعتبارها جزء من العقيدة والدين لا مجرد مباني خاصة. ولأن السلفية تعتبر المساجد الثلاثة منتهكة الحرمات ومدنسة خاصة مع وجود القوات الأجنبية في الجزيرة العربية وما تراه السلفية موالاة الحكومة المحلية لها، فضلا عن الخطر المحدق بالمسجد الأقصى فمن الأولى والأوجب النظر إليها قضية واحدة لا تتجزأ ولا يجوز تجزئتها. ولعل أهمية الربط تكمن فيما تحمله المساجد الثلاثة من رموز دينية وعقدية يمكن للأمة أن تجتمع عليها.
- إن انهيار الخلافة وتقسيم الوطن العربي وتفتيت الأمة واغتصاب فلسطين وضياع العقيدة لم يكن بفعل الصهيونية وحدها بل بفعل تحالف عالمي معادي للأمة برمتها ولدينها وعقيدتها وطامع في ثرواتها ومهدد لمصيرها، وبالتالي فلا يمكن هزيمته إلا بتحالف إسلامي مضاد تشارك فيه كل الأمة وليس بعضها. على أن يتخذ صيغة جهادية لا صيغا سياسية أو إعلامية أو حزبية على شاكلة منظمة المؤتمر الإسلامي أو الجامعة العربية أو الوحدة الوطنية، فما من أحد يتحدث اليوم عما تسميه السلفية بدعوات جاهلية: **"دعوها إنها منتنة"**.
- إن نجاح التحالف العالمي باختراق الجدار الإسلامي وتهديده من الداخل هي حوادث استخدمت فيها القوة المسلحة الغاشمة والجبارة، ومقاتلته لا تكون إلا باستنفار الأمة وتجنيدها لمقاتلة العدو الصائل عبر إحياء وتفعيل فريضة الجهاد التي أصبحت فريضة متعينة وليست فريضة كفاية.
- ضرورة إحداث التوازن في المواجهة بين الغرب (الكافر) والإسلام (المؤمن)[1] بحيث يتحقق مقصود الآية الكريمة: **{إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ}** (النساء، ١٠٤)، لذا فإن ١١ سبتمبر جاءت لتؤكد على وجوب أن يألم العدو في دياره كما يألم المسلمون في ديارهم، أو بصيغة د. عبد الله النفيسي نقل المعركة من الأطراف إلى المركز[2].

[1] "غزوة نيويورك: أسباب ودوافع"، شريط مرئي، مؤسسة الصوارم، ١٧-٩-٢٠٠٧.
[2] عبدالله النفيسي، أحداث سبتمبر والهزة التاريخية في الفكر الأوروبي والأمريكي، مجلة العصر الإلكترونية، ٢٠٠٦/٩/١٠. على الشبكة:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهذه الأسباب وغيرها تبدو الأمة بحاجة إلى راية تجتمع في ظلها بحيث تكون المعادلة أمة مقابل أمة وراية مقابل راية أو فسطاط إيمان مقابل فسطاط كفر على حد قول أسامة بن لادن[1] أو الظواهري في شريطه **"حقائق الصراع بين الكفر والإيمان"**. لكن من الأهمية بمكان ملاحظة التطور المستمر في محتوى الراية لدى السلفية الجهادية، وفي هذا الإطار يمكن رصد أكثر من حدث يؤشر على تضخم مضطرد في **"فسطاط الإيمان"** نثبت منه ما يلي:

١) تَنَبُّه الجماعة الإسلامية المقاتلة في وقت مبكر، إلى ضرورة الانضواء تحت راية واحدة والحيلولة دون ظهور جماعات جهادية أخرى مستقلة، في ليبيا، خشية تشتت الجهد وضياع الراية[2]. لكن حين كانت الجماعة في أفغانستان لم ترغب في الاندماج بالقاعدة لا لموقف ممانع أو مشكك بل لخشيتها من تجمع المجاهدين في مكان واحد بحيث يسهل توجيه ضربات قاتلة لهم وهو ما أقر بصحته أبو مصعب السوري لاحقا في أعقاب الهجوم الأمريكي والمجزرة التي تعرض لها المجاهدون[3] خاصة في قلعة جاجي.

٢) وفي هذا السياق بالذات من وحدانية الراية من الأهمية التوقف عند حالة الجزائر، فالجماعة السلفية للدعوة والقتال لم تندمج في تنظيم القاعدة كما يفهم من وسائل الإعلام أو الكثير من الكتاب، كما أنها لم تبدل اسمها باسم آخر ولو أنها أصدرت إشعاراً بتغيير الاسم لاحقاً على بيان البيعة[4]، بل أن ما جرى هو إعلان صارخ عن إنشاء قاعدة الجهاد في بلاد المغرب الإسلامي بهدف توحيد الراية في كافة المناطق المغاربية كبديل عن التشتت، لذا لا معنى لاستبدال الاسم خارج الدلالات التي يقع فيها، ولا معنى للاندماج خارج المقاصد التي يرمي إلى توضيحها والسعي إلى تحقيقها، وهو ما يؤكده بيان البيعة: **"إن ضراوة الحرب، وقساوة الوضع وتكالب الأعداء على المسلمين وتحالفهم عليهم، وشدة بطشهم والتنكيل بهم يتطلب من المسلمين عموماً والمجاهدين خصوصاً أن**

---

http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=8200.

[1] قسَم الشيخ بن لادن ورد في شريط مرئي (٢٠٠١/١٠/٧) إثر هجمات سبتمبر ٢٠٠١ قبيل الهجوم الأمريكي على أفغانستان.

[2] أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة ... ، ص ٨٦٧.

[3] أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة ... ، ص ٨٣٤.

[4] بيان الجماعة السّلفيّة للدّعوة و القتال بعنوان: " إشعار بتغيير التّسْميَة" بتاريخ ٢٤ / ١ / ٢٠٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يواجهوا التكتلات بالتكتلات, ويتصدوا للأحلاف بالأحلاف, ويقابلوا حشد القوة بحشد القوة ويكسروا الوحدة بالوحدة. فالولايات المتحدة الأمريكية لا يكسر شوكتها إلا الولايات المتحدة الإسلامية وأمّا التشرذم والتشتت والتفرق فإنه لا يهزم عدوا ولا يسترجع حقاً ولا يردع ظالماً ولا ينصر ديناً ولا يرفع راية"[1].

٣) من يراقب خطابات رموز السلفية الجهادية سيلاحظ بلا أدنى شك أن القاعدة لم تعد إلا واحدة من أدواتها الضاربة، وعلى هذا فليس صحيحاً ما يشاع أن القاعدة تحتكر الجهاد وبالتالي تحتكر الراية. بل أن الجماعات السلفية الجهادية في العراق ليست لها أية علاقة تنظيمية بالقاعدة إلا في إطار دولة العراق الإسلامية وما تفرضه وحدة الراية وضرورات التنسيق الميداني فيما بينها، والأهم أن السلفية، بهذا المعنى، تكون قد تجاوزت مرحلة الراية التنظيمية نحو راية التوحيد، ومن يعتقد بخلاف ذلك فهو أبعد ما يكون عن فهم مقاصد خطابات السلفية التي لم يرد على لسان أي من رموزها ولا في نشراتها ما يدعو إلى الالتحاق بالقاعدة، ولنا في ذلك أكثر من مثال:

- دعوة بن لادن والظواهري في أشرطة صوتية ومرئية إلى دعم المحاكم الإسلامية في الصومال والثناء عليها وهي ليست من القاعدة.
- دعوات الظواهري المتكررة لأبناء الجماعات الإسلامية كي يقاتلوا تحت راية التوحيد إذا ما أخلّت جماعاتهم بشروط الحاكمية وعقيدة الولاء والبراء وبالأهداف التي وجدت من أجلها، وليس مهماً الانخراط في تنظيم القاعدة[2] طالما أن الراية هي راية التوحيد. **وهذا يؤشر إلى حد كبير على أن خطابات الظواهري لا تتوجه إلى الجماعات الإسلامية بغرض إدانتها أو استقطابها نحو القاعدة أو التيار السلفي الجهادي بقدر ما هي دعوة أو نصح**

[1] نص بيان البيعة على موقع الجماعة بعنوان: "بيان وبشرى بانضمام ومبايعة الجماعة السلفية للدعوة والقتال"بتاريخ ١٣ / ٩ / ٢٠٠٦.
[2] في شريطه المرئي "دروس وعبر وأحداث عظام في سنة ١٤٢٧هـ"، مصدر سابق، علق الظواهري على وضعية مقاتلي حركة فتح داعيا إياهم إلى العودة الإسلام قائلا: "أنا لا أدعوهم لينضموا لحماس ولا لحركة الجهاد ولا للقاعدة ولكني أدعوهم للعودة إلى لإسلام لكي يقاتلوا من أجل إقامة دولة الإسلامية على كل فلسطين وليس من أجل إقامة دولة علمانية ترضى عنها أمريكا على فتات من فلسطين"، وفيما نعلم أنها المرة الأولى والوحيدة التي خاطب فيها الظواهري مقاتلي فتح مباشرة، والمرة الأولى التي يدعو فيها مسؤول بارز في القاعدة جماعات أو تنظيمات أخرى إلى القتال تحت راية التوحيد ولأهداف إسلامية دون أن يكون هناك ضرورة للالتحاق بالقاعدة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتصحيح ما تعتبره انحرافات في عقائدها[1] خاصة وأن هذه الجماعات هي رصيد للحركة الجهادية العالمية وليست عدوا يراد له الهزيمة.

- الجماعات المقاتلة في الشيشان وآسيا الوسطى وكشمير وأندونيسا والفلبين وفتح الإسلام وجيش الأمة وطالبان كلها تقاتل تحت راية التوحيد دون أن تكون لها أية روابط تنظيمية مع القاعدة، وليس أدل على ذلك من أن العمليات المسلحة لها تنفذ بمبادرة ذاتية منها دون أن تكون للقاعدة أية علاقة بها، وكذا جماعة أبو سياف في الفلبين التي تستنجد بالسلفية الجهادية باعتبارها تحمل نفس الراية وتسعى لتحقيق نفس الأهداف[2].
- رغم الاتصالات بين القاعدة وأبي مصعب الزرقاوي فلم تكن جماعة التوحيد والجهاد التي تأسست في وقت مبكر من احتلال العراق على صلة بتنظيم القاعدة، حتى أن بعض المراجع تشير إلى خلافات بين الزرقاوي وابن لادن نفسه لما كان الأول في أفغانستان فيما يتصل بالموقف من التحالف مع طالبان. وبعد ذلك أعلن الزرقاوي عن مبايعته لابن لادن بتاريخ ٢٠٠٤/١/٨ وما تبعها من شريط للشيخ أسامة يثني عليه ويعلن تعيينه أميرا لـ **"قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين"**[3] ثم جرى الإعلان عن تشكيل مجلس شورى المجاهدين (أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٥). بل أن الأمر تطور ليصل إلى مرحلة حلف المطيبين (٢٠٠٦/١٠/١٣) ثم إعلان دولة العراق الإسلامية (٢٠٠٦/١٠/١٥) التي أصبحت تضم العديد من جماعات مجلس الشوري ومن بينها تنظيم القاعدة الذي اختفى ذكره في العراق لصالح دولة العراق الإسلامية التي تضم الآن عشرات الجماعات والتنظيمات السلفية الصغيرة منها والكبيرة.

[1] د. أيمن الظواهري، نصيحة مشفق، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، ٢٠٠٧/٧/٥.
[2] تقرير عن الحركة الإسلامية في جنوب الفلبين بعنوان: "أسود الفلبين: إنهم قادمون"، مركز مورو الإعلامي، ٢٠٠٧/٨/١٥. لعله الشريط المرئي الأول الذي يعرف بجماعة أبي سياف، وأطرف ما فيه أنه يطالب بأن يعامل المجاهدون في الفلبين، من حيث الدعم المطلوب، أسوة بالمجاهدين في أفغانستان وغيرها باعتبارهم يتبنون نفس المنهج ويرفعون نفس الأهداف.
[3] أسامة بن لادن، (تعيين الزرقاوي أميرا لقاعدة الجهاد في بلاد الرافدين)، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى هنا يمكن القول أنه بالإمكان الاختلاف مع السلفية الجهادية تحت سقف التوحيد، وهو اختلاف طبيعي بما أنه يعبر عن وجهات نظر واجتهادات شهدت عليها متون أبي مصعب السوري خاصة خلال المرحلة الثانية من الجهاد الأفغاني رغم ما أحدثته من أضرار، لكن ما هو موضع حظر مطلق عندها هو الاختلاف على التوحيد ذاته بوصفه تعبيرا عن الراية ومقصد المقاصد. فهنا تقف السلفية موقفاً حازماً، أياً تكن تداعياته، من كافة القوى والجماعات فيما يتعلق بقيادتها للراية بوصفها راية الأمة وراية الجهاد العالمي التي لا يمكن التفريط بها أو وضعها بأيد غير أمينة.

ففي مقابلته مع مركز اليقين الذي أنشئ حديثاً يقول الشيخ عطية الله[1]: **"أن الحركة الجهادية العالمية والناصعة المنهج، التي أعبّر عنها كثيرا بـ"حركة الجهاد والتوحيد والسنة" ويعبّرون عنها بالحركة السلفية الجهادية، (هي) الحركة الجهادية المحققة للولاء والبراء، و(هي)التي يمكن ائتمانها فعلاً على راية الجهاد"**[2]، أما، وبحسب سؤال مركز اليقين[3]،**"ما هي الأيدي غير الأمينة هذه؟"** فيستشهد الشيخ عطية الله بأقوال أبي عمر البغدادي في أحد خطاباته[4]: **"أمة الإسلام، لقد عزمنا ألا نكرر المأساة وأن لا تضيع الثمرة، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"**، لكن يبدو أنه آن الأوان للشيخ عطية الله كي يفصل ما كان البغدادي قد أشار إليه ضمنا ويضع فيه النقاط على الحروف بلا تحرج:

- إنهم: **" أناسٌ يريدون أن يقودوا الجهاد والحركة الجهادية، وأن يمسكوا بزمام الأمور وتكون بأيديهم الراية، لكن ليس عندهم المؤهلات لذلك، ونحن نعرف ذلك، والحركة الجهادية تعرف ذلك جيدا ... ؛**

---

[1] ليس فقط الشيخ عطية الله بل هجمة د. أيمن الظواهري في أحد خطاباته والذي رد فيه بشدة على ما اعتبرهم "فقهاء التسول" ممن يزعمون، بحسب رأيه، حقهم في قيادة الأمة، فنراه يقول: "كيف يمكن أن يقود جهاد الأمة من يبيح لحكام مصر قتل المجاهدين والصلح مع إسرائيل؟ ومن يبيح للمسلمين القتال في الجيش الأمريكي ضد إخوانهم في أفغانستان؟ أو من يفتي المسلمات في فرنسا بوجوب خلع حجابهن طاعةً لحكومتها العلمانية المحاربة للإسلام؟ أو من يفتي المسلمين في بريطانيا بوجوب طاعة إليزابيث رئيسة كنيسة انجلترا؟ كل هؤلاء وأمثالهم لا يمكن أن يرتفعوا لمرتبة القيادة، لأنهم سقطوا في حضيض التسول". فـ "أي دين هذا؟ أي خلق هذا؟ أي شرف هذا؟ بل أي سقوط هذا؟"، للتحقق يفضل العودة إلى شريطه المرئي: "حقائق الصراع بين الكفر والإيمان"، ٢٠٠٦/١٢/٢٣.

[2] الشيخ عطية الله، لقاء مع مركز اليقين، مصدر سابق.

[3] سؤال مركز اليقين هو: "هل تتصور أن هذا التعارض أو الاختلاف في خطط ومناهج الجماعات المختلفة لانتشال العالم الإسلامي من وضعه الحالي قد يدفع إخوة الأمس للتصادم من أجل الإمساك بزمام القيادة وفرض كل لرؤيته ومخططه؟"، مصدر سابق.

[4] أبو عمر البغدادي (أمير دولة العراق الإسلامية)، "حصاد السنين بدولة الموحدين"، شريط صوتي، مؤسسة الفرقان، ٢٠٠٧/٤/١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أناس من داخل إطار ما يسمى المقاومة أو حتى إن سمّي جهاداً، طارؤون وجُدد على الجهاد وعلى طريق الجهاد، وعلى فقه الجهاد وعلى منهج الجهاد يفتقدون إلى الرسوخ، ومتقلبون، ولم يوضعوا على المحك الحقيقي ولم تنجبهم الأيام الصعاب، بل أنجبتهم ظروف وأحوال أشبه ما تكون بـ "الاتفاقية" ... وُجِدوا فيها ووجدوا أنفسهم فيها قيادات، هؤلاء كيف يمكن للحركة الجهادية أن تأتمنهم على الراية!؟
- أناس من خارج المنظومة الجهادية أصلاً (خارج عن كل ما يسمى جهاد وحتى مقاومة) ويريدون أيضا أن يقودوا الأمة ويقودوا الحركة الجهادية عن بُعدٍ ويفرضوا أنفسهم كقيادة لا يمكن تجاوزها"؛

وبأكثر صراحةً وحسما:

"(١) لن تقبل الحركة الجهادية اليوم بعد هذا الوعي والنضج وهذه التجارب وهذه المعاناة، أن تسلّم القيادة للإخوان المسلمين أو مَن قاربهم وشابههم، هذا واضح، وأرجو أن تكون عبارتي واضحة لا تحتاج إلى كبير شرح وتحرير.! و

(٢) لن تقبل الحركة الجهادية أن تسلم القيادة لأناسٍ أخلاط من الفكر الإخواني والبعثي والوطني والقومي وغيره، لم يُمحّصوا جيدا، ولم يحصل الوثوق بهم جيداً ... بل سقط بعضهم في امتحانات شهرية ونصفية..! و

(٣) لن تقبل الحركة الجهادية أن تسلم الراية لأناس يعيشون متنقلين بين أفخم الفنادق في دول الردّة مرضيّاً عنهم من حكومات تلك الدول، يعقدون المؤتمرات علنا عندهم، ويشاركون في اللقاءات والاجتماعات الطاغوتية ويُعانقون الطواغيت وأئمة المرتدين بالأحضان، ويقبّلونهم ويبشون في وجوههم بشاشة الأخ الودود، ويظهرون لهم المودة، ويُثنون عليهم وعلى جهودهم ويرجون فيهم الخيرَ، ويستنجدون بهم ويرونهم جزءاً من الحل، ويعتبرونهم إخوة...!"

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: القيادة، مواصفات وشروط:

لعل السلفية الجهادية يمكن أن تنجح أو تفشل في تحشيد الأمة من حولها، لكن القول بأنه يمكن القضاء عليها عبر القضاء على رموزها قتلاً أو اعتقالاً فهي مسألة أبعد ما تكون عن الحقيقة. فالأمة مقبلة على نمط جديد من التفكير والعمل غير مسبوق ولا مألوف، والثابت أن السلفية تجاوزت مرحلة التصفية أو الإبادة، ولو كان لمثل هذا الأمر أن يجدي لنجحت الولايات المتحدة فيه منذ غزت أفغانستان وأعملت قتلا في قيادات السلفية وكوادرها وعناصرها من شتى أنحاء العالم سواء كانوا من القاعدة أو من طالبان أو من أية جماعة أخرى تواجدت على الساحة الأفغانية أو الباكستانية. ونكاد نجزم أنه لو تعرضت دولة أو جماعة أو حزب لما تعرضت له السلفية الجهادية في أفغانستان أو الشيشان على يد الروس وما تتعرض له في العراق لما بقي لها أثرا يذكر. وعلى العكس من ذلك أعادت طالبان بناء قوتها ولملمة شتاتها وها هي تخوض حربا ضروسا ضد قوات حلف الأطلسي في أفغانستان، أما القاعدة فقد نجحت في فتح جبهات أخرى ودعمت قوى سلفية ضاربة في عدة بلدان إسلامية وظهرت دولة العراق الإسلامية ونشطت معها القوى السلفية الأخرى من أنصار السنة وجيش الراشدين وأبي بكر الصديق حتى عصائب العراق فضلا عن الكتائب السلفية الأخرى، واختفى رمز الجهاد العالمي ليزيد الطين بلة فاستقال مايكل شوير رئيس وحدة مطاردة بن لادن بعد أن فشل في القبض عليه أو تصفيته، وأقر أحدث التقارير الاستخبارية السرية للولايات المتحدة نقلا عن مجلة النيوزويك الأمريكية بأن القاعدة تضخمت وأنها غدت أقوى من أي وقت مضى منذ هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وأنه من المستحيل القضاء عليها دون تعاون الحلفاء[1]! ترى ما هو السر في قوة السلفية الجهادية وقياداتها؟

فضلاً عن وضوح خطاباتها فما من تميز للسلفية بأقوى من قدرتها على صنع القيادات وإنتاجها. فهي عملية معقدة لا يبلغها إلا من بلغها بشروط لا يمكن تجاوزها أو التهاون

[1] صحف ووكالات ١٣ / ٧ / ٢٠٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بها. بمعنى أن القائد لا تصنعه التعليمات ولا سنوات الخدمة ولا الترقيات المألوفة، فمن يصنعها إذن؟

أ.العلم الشرعي:

لما يردد ابن لادن القول: **"لسنا جامدين ... سندور حيث تدور العقيدة"**، فإننا نحمل هذه العبارة على محمل الجد كونها **"تعبر عن صميم عقل السلفية الجهادية وفلسفتها العقدية كمرجعية وحيدة ... ذلك أن التنظيم بنظر أتباعه عقيدة يدورون معها حيث تدور وليس بناء أيديولوجيا ولا أولوية ولا هدفا بحد ذاته ولا غاية مرجوة. فإذا ما قررت العقيدة، بنظر السلفية الجهادية، أن هذا خطأ أو صواب وذاك حلال أو حرام وهذا صديق وذاك عدو فلا مفر حينها من التسليم والدوران حيث تدور العقيدة وتقرر بعيداً عن أي تأثير تنظيمي أو تبعات سياسية"**[1].

فالمعنى إذن يؤكد على أن سر السلفية الجهادية يكمن بالذات في الشريعة بوصفها المصدر الوحيد في:

(١) الحكم على النوازل أو

(٢) توجيه السلوك العام والخاص أو

(٣) بيان الاحتياجات والمتطلبات أو

(٤) رسم السياسات و

(٥) وضع الخطط، و ... الخ، وبمعنى من المعاني فالشريعة ومصادرها معطوفاً عليها التجارب الإسلامية، بعرف السلفية الجهادية، ليست علوما للتلقين ولا ميدانا للفقه ولا مجرد أحكام مصفوفة ولا هي تخصصات علمية، وليست الغاية منها التمتع والوجاهة والتفاخر ولا وسيلة لتحصيل الوظيفة والمال والجاه والرفعة. بل هي مرجعية ومنهج حياة بديلاً عن أية مصادر أو مرجعيات أخرى، وعليه فإن التحصن بالعلم الشرعي يغدو الشرط الأول والحاسم في العمل خاصة وأن **"المجاهد هو أكثر من يحتاج إلى العلم من**

[1] د. أكرم حجازي، "الصين تحت مجهر السلفية الجهادية"، مرجع سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غيره وهو يخوض غمار الجهاد الذي يستدعي منه أن يكون على بينة من هـذا الأمـر العظيم"[1].

فالأمن[2] والسياسة الشرعية والخطط العسكرية وتحديد مراحل النكاية والتمكين والأولويات أو فقه الجهاد وأحكامه وفقه الواقع وفقه التحييد وفقه المرحلة وفقه التزكية وطرق قتال العدو والتنبؤ بسقوطه أو نجاحه وضبط مواضع الخلل والقوة والضعف واتخاذ المواقف كلها وغيرها من القضايا يجري الاستدلال عليها أو الاسترشاد بها من خلال الشريعة والسنة النبوية وسلوك الصحابة وفتاوى العلماء والفقهاء وقادة الجيوش الإسلامية والتراث الإسلامي الجهادي[3] قبل الاستعانة بأية مصادر أخرى. لذا فما من نازلة أو حدث أو سلوك إلا ويخضع للحكم الشرعي الذي له وحده الحق في إجازته أو رفضه، ولا عبرة لأية مبررات تاريخية ولا لأية قيم أو مجاملات أو اعتبارات للمصداقية وغيرها ممن تصنف تحت قافلة **"الهوى"**، فلو سرقت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم لقطع محمدٌ يدها، ولو نكص ابن لادن على عقبيه لنبذ غير مأسوف عليه[4].

قد يبدو هذا نوعا من الوصاية على الدين وكأن السلفية الجهادية باتت على حق وغيرها على باطل وهو ما ليس من الأطروحة السلفية بشيء، إذ أن الشريعة، بالنسبة إليها، فيها من السعة ما ليس في أية مرجعية أخرى، فهي الرصيد المعرفي الهائل الذي لا ينضب مع الزمان بخلاف أية مرجعيات أخرى لا تتعدى أعمارها، في أحسن الأحوال، بضعة عقود لا أكثر، وفيها من الأمن والأمان والسكينة ما لا يمكن للأيديولوجيا أن تحلم به، وفيها من المثل ما لا ينفع الاقتداء بغيرها، وفيها من التوجيه والإرشاد ما لم يقع الاستفادة منه سابقا بسبب تغييبها عن الأمة وواقعها، وفيها من القوة ما تستكين معه

[1] أبو حارثة ... ، المجاهدون في العراق والشرك المميت، مصدر سابق.

[2] لعل أكثر ما يلفت الانتباه ذاك الجهد الجبار الذي تبذله جماعات أو أفراد في استخراج المادة الأمنية، مثلا، من مصادر التشريع والتراث والسنة النبوية ووقائع الغزوات والفتوحات وطرق تحرك بعض الصحابة واقتراحاتهم في كيفية اختراق صفوف العدو. والحديث في هذا السياق يجري عن موسوعات متخصصة وتجميع للخبرات بصورة غير مسبوقة مقارنة بالجماعات الإسلامية التقليدية والحركات الثورية العربية وغير العربية.

[3] الشيخ عطية الله في لقاء مركز اليقين وهو يتحدث عن أن: "الحركة الجهادية تراكمت لديها خبرات وتجارب وصارت لها مكتبة عامرة بالفقه والحكمة"، مصدر سابق.

[4] في الحقيقة فإن أكثر ما يتميز به أنصار السلفية الجهادية في المنتديات تمسكهم بالعلم الشرعي حين يضطرون للرد على الخصوم من التيارات الأخرى، فأيا كانت الحادثة سياسية أو عسكرية أو أمنية أو اقتصادية أو حتى نصح وإرشاد فإن أية محاججة سيكون مصيرها الفشل إن لم تستند في أدلتها وبراهينها إلى ميزان الشرع، وحتى في الخلافات العاصفة بين السلفية الجهادية وأقرانها من الجماعات الأخرى والتي وصلت في بعض الأحايين إلى صدامات مسلحة ظلت الخطابات تحتج بالموقف الشرعي أكثر من احتجاجها بأية مواقف سياسية أو ظروف أو مصالح.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفسية المجاهد، وفيها من الصرامة ما يكفي ليدمغ الحق فيها كل باطل فيزهقه، من هنا تأتي الحاجة إلى تعلم العلم الشرعي للعمل به.

لذا فإن البيئة التربوية التي تنشأ فيها السلفية الجهادية هي على الأغلب بيئة المساجد وحلقات العلم والعلماء وبيئة الغرباء من كهوف وسراديب وصحاري وبيئة الثغور وساحات الجهاد وميادين القتال وليست بيئة سايكس – بيكو من القصور والفنادق والمؤتمرات والوزارات والسفارات والمكاتب المكيفة ووسائل الإعلام، ولا بيئة التنظيمات والأحزاب والأيديولوجيات ولا بيئة العلاقات الدولية والأمم المتحدة ومجلس الأمن والمجتمع الدولي، وشتان بين البيئتين.

كما أن للعلم الشرعي ميزة لا توفرها أية أيديولوجيا مهما بدت متماسكة، فالصحابة كان الواحد منهم يوصف وكأنه **"قرآن يمشي على الأرض"**، وهذا يؤشر على أن توجه السلفية نحو دراسة العلم الشرعي والنهل منه ما استطاعت إنما هو محاولة للتشبه بالصحابة، وقد يبدو الأمر نكتة بالنسبة للخصوم خاصة وأن لديهم الكثير من الردود على مثل هذه **"الأحلام والغرور"**، لكن لو رفعنا من مستوى التحليل والتفسير أكثر قليلا سيتبين لنا أن السلفية باشتراطها العلم الشرعي إنما تجعل من عناصرها مشاريع قيادة من العيار الثقيل، وفي هذه النقطة وأمثالها فليتنافس المتنافسون. فمن يخوض الجهاد عليه أن يفهم إلى أين يقود الأمة ولأية أهداف، وعليه أن يعرف كيف يخاطبها، وبأية أدلة يواجهها، وعليه أن يتحمل كامل المسؤولية أمام الله والناس. أما التلاعب بمصير الأمة وزجها في أتون حروب طاحنة لا فائدة ترجى منها أو تسويات ظالمة وخائبة أو تحالفات مشبوهة فهي من تداعيات الجهل في الدين وغياب المرجعية، والصدع بما فيها من حقوق هي ملك للأمة وليست ملكا لعالم أو فقيه أو محدث أو حاكم أو سياسي أو أية شخصية كانت.

ومن الأهمية التنبيه إلى أن الأخذ بالعلم الشرعي لدى السلفية الجهادية يأتي على خلفية النقص الفادح في التكوين لدى الجهاديين من جهة ولترشيد فعاليات العمل الجهادي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبنائه من جهة أخرى على أسس شرعية واضحة. ففي مؤلفه الضخم يورد أبو مصعب السوري الكثير من الإشكالات التي عانى منها قادة الجهاد أمثال عبد الله عزام والظواهري وابن لادن وغيرهم من معتقدات جلبها معهم من التحق بصفوف المجاهدين خاصة من طلبة العلم الشرعي، ويعتقد صاحب **"دعوة المقاومة"** أن تصرفاتهم ألحقت ضررا بالغا في تقدم مسيرة الجهاد وعالميته ونفَّرت الكثير منه وتسببت بنزاعات قوية بين المجاهدين كونها انتشرت على مساحات واسعة من ساحات الجهاد. على أن هذا لا يعني إيصاد الأبواب أمام من يلتحق بالمجاهدين إن لم يكن متحصنا بالعلم الشرعي ولكنه في المقابل، وبعد التجارب المريرة، بات ملزما بتلقيه.

أما على مستوى القيادات فما من سبيل للوصول إلى دفة القيادة في مراتبها الوسطى والعليا خاصة إلا بشروط حاسمة فيما يتعلق بالعلم الشرعي، ولقد لاحظنا في بيانات الرثاء وأشرطة الفيديو التي خصصت لأبي مصعب الزرقاوي حرصها على التذكير بأنه كان طالب علم مجتهد علاوة على كونه القائد العام، وكأن تعيين أبي مصعب أو قبول بيعته ما كان ليتم لولا علمه وصلاحه والثقة الكاملة فيه فضلا عن قدراته الميدانية وبلاؤه في المعارك وإلا ما استطاع قيادة الجماعة في العراق. كما أنه ما من سبيل لإعلان الجهاد في ساحة ما دون أن تكون النواة الأولى على دراية بالعلم الشرعي وإلا فلا داعي لإعلانه، هذا ما حصل بالنسبة لمجموعة تركستان الشرقية التي كان يقودها حسن معصوم قبل سقوطه في معركة مع القوات الباكستانية في وزيرستان سنة ٢٠٠٣. إذ يذكر أبو مصعب السوري أن حسن معصوم كان يخطط للعودة إلى تركستان والشروع بتعليم العلم الشرعي لنحو مائتي مجاهد قبل أن يعلن الجهاد على القوات الصينية التي تحتل البلاد[1].

بطبيعة الحال فالاستنتاج الحاسم يكمن في كون قادة الجماعات المسلحة للسلفية الجهادية لا يمكن إلا أن يكونوا على قدر كبير من العلم الشرعي، وبما أنهم خارج سايكس – بيكو فمن البديهي ألا يكونوا قادة أحزاب أو تنظيمات بقدر ما سيكونوا

[1] أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية... ، ص ٨٢٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجاهدين علماء، على أن هذا لا يعني أنهم من الراسخين في العلم، لكنهم ليسوا على جهل، وليس من الحكمة الاستهانة بقدراتهم العلمية وإلا لما استطاعوا أن يرفعوا رايةً ويعلنوا جهاداً ويخوضوه ضد أعتى القوى العالمية ويدعون الأمة له لو لم يكن لديهم قدر كبير من العلوم الشرعية، هذا فضلا عن أن للسلفية الجهادية علماءها العاملين في شتى أنحاء العالم.

إذن القيادة ليست مرتبة تنظيمية ولا سياسية ولا أخلاقية، وليست وليدة المصالح والأهواء ولا هي بالوراثة ولا التزكيات بل هي الضرورة الأولى من ضرورات أي مشروع جهادي خاصة وأن ساحات الجهاد تفتقد للعلماء المتخصصين المتفرّغين إلى حد كبير مما يجعل من العلم الشرعي الشرط الذي يحظى بالأولوية القصوى.

ب. التمرس في ساحة الجهاد:

لم تكن هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على أبراج التجارة الأمريكية لتحقق هدفاً جوهرياً وحاسماً أفضل مما حققته في الصميم وهو تقديم قيادة للأمة[1] بمواصفات غير مسبوقة خاصة وأن الضربات نجحت في توجيه ما يسميه الشيخ أسامة بن لادن ضربة **"حطمت هبل العصر"**[2] بالإضافة إلى أهداف أخرى. فسلطان الأمة الذي اغتصبته سايكس – بيكو في غفلة من الأمة وضيعته يستوجب وجود قيادة موثوقة ومؤتمنة مهمتها استعادته حتى لو كلفها ذلك مهاجمة **"أصنام العصر"**، وحتى تظهر هذه القيادة وتحظى بقبول في الساحات الإسلامية كان عليها أن تفكر بهدف يلفت انتباه الأمة والعالم أجمع بأن الإسلام قادم وأن المسلمين عازمون على الاستمساك بـ**"العروة الوثقى"** وأن على **"الغرب الصليبي الصهيوني الكافر"** أن يفهم أن المعركة فتحت ومن أوسع الأبواب.

هكذا قدمت القاعدة نفسها قائدة لحركة الجهاد العالمي الذي يؤمن بأن المقاتل العالمي [المشرك] الذي يصول ويجول في أنحاء العالم غازيا معتديا لا بد له أن يواجه بمقاتل

[1] فؤاد حسين، الزرقاوي: الجيل الثاني للقاعدة، دار الخيال، ط١، ٢٠٠٥، بيروت لبنان.
[2] أسامة بن لادن، شريط العلم للعمل. مصدر سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إسلامي عالمي [موحد] وبذات المواصفات وفي عقر داره[1] . فالقتال بحسب شروط الخصم لم يعد متاحا ولا بد من نقل المعركة من الأطراف إلى المركز[2] لتصير المعادلة مخطوطة بحسب القسم الشهير للشيخ بن لادن أو د.الظواهري[3]. إذن أي نوع من القيادة نحن بصدد البحث عن مواصفاته؟ وما الذي تريده قيادة السلفية الجهادية المقاتلة بعد أن استتب لها الأمر؟

لعل أبا بكر ناجي هو من أكثر وأدق من أصل لمضمون القيادة وشروط تحققها في صفوف السلفية الجهادية خاصة في الفصل الثاني من مؤلفه العزيز على قلوب المجاهدين مثلما هو عزيز على قلوب وكالات الأمن الأمريكية التي قامت بترجمته وشرحه وتوزيعه على نطاق واسع لما اعتبرته أخطر المؤلفات. ففي الغرب يهتمون بالإدارة وليس بالقيادة المباشرة، وللإنصاف فإن كتابات الشيخ أبي بكر ناجي أثارت انتباه كل من قرأها، أما أفكاره عن مسألة القيادة وهو يعالجها من خلال ربطها بالإدارة ربطاً مباشراً فهي أطرف ما قدمه مفكر إسلامي وجهادي في تاريخ الحركات الإسلامية وحتى الجماعات السياسية العلمانية، بل أن ميزة مؤلفه **"إدارة التوحش"** أنه المشروع الأول الذي تقدمه حركة جهادية للتنفيذ على الأرض.

بالتأكيد يفرق **"ناجي"** بين القيادة (العسكريين) والإدارة (السياسيين) في مراحل النكاية والتمكين أو ما يسميه بإدارة مناطق التوحش، ويعتبر الأولى للثقاة فقط ولكنه لا يمانع في أن يكون كل قائد مديرا. لذا نراه ينطلق في بداية الفصل من قاعدة تقول: " **[ليس كل قائد مدير وليس كل مدير قائد]**، ولكنه يسعى إلى تحويلها لتصير **[كل قائد مدير وليس كل مدير قائد]**". وبطبيعة الحال هو يجتهد في ذلك بناء على تجارب

[1] د. أكرم حجازي، رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية، مرجع سابق.
[2] عبدالله النفيسي، أحداث سبتمبر والهزة التاريخية في الفكر الأوروبي والأمريكي، مرجع سابق.
[3] قسَم الشيخ بن لادن ورد في شريط مرئي (٢٠٠١/١٠/٧) إثر هجمات سبتمبر، مصدر سابق، وهذا نصه: " أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعا في فلسطين وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد صلى الله عليه وسلم"، وهو ما عبر عنه الظواهري في شريطه المرئي "المعادلة الصحيحة" وهو يخاطب الأمريكيين: "الأمن قسمة مشتركة ... إذا أمنا فقد تأمنون وإذا سلمنا فقد تسلمون وإذا ضُربنا وقتلنا فحتماً بإذن الله ستُضرَبون وتُقتلون. هذه هي المعادلة الصحيحة فحاولوا أن تفهموها إن كنتم تفهمون"، مصدر سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجماعات السابقة التي فشلت بفعل الاختراقات الأمنية أو السياسية وأحبط عملها وهو ما لا يريد للسلفية الجهادية أن تقع فيه[1].

من المألوف أن التيار السلفي بعرف السياسات الحكومية والأمن الدولي منبوذ، وقادته وعناصره مطلوبون لكافة القوى الدولية والمحلية، كما أنه مهيب الجانب من شتى الجماعات الإسلامية والعلمانية ومحارَب من طرف الكثير منها، وعليه فإن التفريط في المسائل الأمنية أو الإدارية أو العسكرية من شأنها أن تلحق أضرارا بالغة بالتيار وتوجهاته ورايته، وتبعا لذلك فهو تيار عامل تحت الأرض لا فوقها، وتيار خفي لكنه نشيط حتى في الجبهات المفتوحة، ولما تكون أهدافه تبلغ مصالح الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وزيادة عليها **"المستضعفين في الأرض"**[2] وأعداؤه من نوع **"هبل"** و **"اللات"** و **"العزى"**، فمن المفترض أن نتوقع قيادات من نوع مختلف مقارنة بما سبق من نماذج عديدة سقط بعضها وتراجع آخر ودافع ثالث عن ثقافة التغيير السلمي ورابع أبدى استعداده للتفاوض حول ما يفترض أنها ثوابت بينما لا نجد مثل هذه التحولات لدى السلفية الجهادية منذ نشأتها قبل نحو عشرين عاما.

باختصار، هل خصائص وأنماط القيادة التي تفرزها ثقافة التوحيد هي نفسها الخصائص والأنماط الكائنة في ثقافة سايكس – بيكو؟

في تحليله لمفهوم الدولة يقدم أبو بكر ناجي فكرة طريفة يرى فيها أن الدولة في العصر الحديث هي الدولة أينما تكون، لكن الفرق يكمن فيما تكتسبه الدولة من محتوى أيديولوجي، فإذا ما اكتسبت الدولة العربية أو الإسلامية ثقافة التوحيد وأنزلت الحاكمية مترلتها فلا غبار عليها، لذا فهو يعتقد أن الأحزاب العلمانية نجحت في السيطرة على الدولة فيما كان الإسلاميون يتناظرون في بنائها على الطريقة النبوية! أما السلفية الجهادية فهي مدعوة لتطبيقه على القيادة عبر فهم الفروق، ولأنها مسألة يصعب التثبت منها إلا

[1] بالإضافة للمصدر إياه "إدارة التوحش" يفضل الاطلاع على مقالته المعنونة بـ: "الخيانة أخس صفقة في التاريخ". وفي الحقيقة فإن كتابات أبو بكر ناجي لا يمكن أخذها مستقلة عن بعضها، فهي تشكل كتلة واحدة متراصة حتى ولو ظهرت في سلسلة من المقالات.

[2] هذا التعبير أدخله الظواهري إلى الخطاب السلفي ليغدو من مشمولات أدبيات الجهاد العالمي، في الشريط المرئي الذي أصدرته مؤسسة السحاب تعقيبا من الظواهري على الحرب الإسرائيلية على لبنان، مؤسسة السحاب، ٢٠٠٦/٨/٢٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أصحاب الشأن فإن صراحة الشيخ عطية الله من جهة وصرامة أبو بكر ناجي تبقى هي المداخل الأكثر أهمية للفهم، ففي ضوء السؤال إياه، يقدم الشيخ عطية الله توصيفاً للسلفية الجهادية، بوصفها اليد الأمينة على الراية، على النحو التالي:

"عندما أقول "الحركة الجهادية" فإنني أعني بها:

- **الحركة الجهادية العالمية التي هي مشروع أمة الإسلام الكامل ... التي لا ترضى بأنصاف الحلول والتسويات،**
- **ولا تلتقي مع عدوّها الكافر في منتصف الطريق، ولا ترضى بالفتات!!؛**
- **حركة أخذت على عاتقها الإحاطة بهذا الدين من كل جوانبه بحسب الوسع والطاقة ... من مبادئها: ليس عندنا ما نخسره: نحن بين إحدى الحسنيين: نصرٍ أو شهادة؛**
- **حركة غاية الجهاد عندها ودافعه هي: أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدينُ كله لله، هذا هو المبدأ الأساسي والأكبر والمقصد الأعظم؛**
- **حركة لا تعترف إلا بشرعية ديننا وشريعتنا المطهرة ... كمرجعية مطلقة، لا بما يُسمّى اليوم بـ"الشرعية الدولية" وغيرها... ؛**
- **لا تعترف بسايكس بيكو والحدود التي صنعها ووضعها أعداء الأمة ومزقوها بها، ...**
- **حركة عرفت عدوّها جيدا وعرفت أعداء الأمة ولم تعد منخدعة فيهم أو مغترّة بنفاقهم وألاعيبهم.. لا تسلم قيادتها إلا للأمناء على الدين فعلا ... إن راية الجهاد لابد أن تكون في أيد أمينة، يمكن ائتمانها على الجهاد ".**

إذن هذه القيادات لا يمكن أن تُصنع على عجل ولا أن تدفعها الظروف أو المصالح للظهور ولا هي قيادات ولدت بالترقيات ولا بالأقدميات ولا بالمصاهرات ولا هي من ذوي القربى ولا من المرضي عنها وليس أعضاؤها من سادات القبائل والعائلات ولا من ذوي الحسب والنسب وحواشي السلطة، إنها قيادات مرّستها ميادين الحركة من تنقلات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمنية خطرة ومهمات معقدة ومطاردات وتَخَفِّي وقتال شرس وخطوب ومحن قاسية واقتحام لأهداف من المفترض أنها مستحيلة حتى بعرف الحرب الباردة وليس بعرف سايكس – بيكو فحسب. ولعله من الإنصاف عدم المقارنة بين قيادات السلفية والقيادات الأخرى باعتبار أن لكل بيئة منتجاتها وللظروف أحكامها، ومع ذلك فإنه **"حق للجميع أن يجاهد ويساهم، لكن حق أيضا لأمثال هؤلاء أن يعرفوا قدر أنفسهم"**[1].

هنا بالضبط يتدخل أبو بكر ناجي ليكشف عن متلازمة العلم الشرعي، كي لا تنفلت الأمور من عقالها فيسقط القادة ويسقط معهم المشروع الجهادي برمته، مؤكدا على:

- **"أن يكون أغلب قادة الحركة الإسلامية قادة عسكريين أو عندهم قدرة على القتال في الصف على الأقل ... ؛**
- **خطورة ترك القرار السياسي بأيدي من لا يخوض المعارك العسكرية تحت أي حجة.** (لذا يجب) **أن يكون القرار السياسي صادراً من القائد العسكري، بل الإدارة السياسية كلها أو أغلبها ينبغي أن تكون من المقاتلين من مساعدي القادة العسكريين وجنودهم ... فالمعركة معركتهم قبل أن تكون معركة غيرهم؛**
- **أن يعمل هؤلاء القادة على إتقان علم السياسة كإتقان العلم العسكري سواء بسواء.**
- **القرارات الإدارية والسياسية العليا الخاصة باستهداف فئات والكف عن آخرين ... يجب أن تمر، وقبل أن تصدر، على الراسخين في العلم في حركة الجهاد الرئيسية، أو عالماً راسخاً في العلم مشهوداً له بذلك تبعاً لمعايير شرعية صحيحة إذا تعذر الرجوع إلى علماء حركة الجهاد الرئيسية"**[2].

[1] الشيخ عطية الله، لقاء مركز اليقين، مصدر سابق.
[2] أبو بكر ناجي، إدارة التوحش، مصدر سابق، ص ٣٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غير أن هذه الضوابط لا تعني أن للقيادة سطوة على ما دونها، فهي وإن كانت أبوابها مفتوحة إذا ما تحققت شروطها إلا أن للقواعد، التي من اللازم تنميتها وتوعيتها حتى تصل إلى مرحلة متقدمة من النضج والوعي والعلم الشرعي، حق المراقبة على أداء القيادات السياسية اعتمادا على مبدأ الثقة الذي تكون عناصره الحيوية " **في عصرنا ... مبنية على معطيات ثابتة لقيادة تم اختبار صدقها عملياً وفي شتى الميادين**"[1]، فإذا ما ضعف هذا المبدأ، الذي تغذيه الأحكام الشرعية والثبات والصبر على البلاءات والمحن والإرادة والعزيمة وقبل كل شيء عقيدة الولاء والبراء وميادين المعارك والأمن، فمن شأن أي قرار سياسي كبير أن يحدث بلبلة وربما تفككاً في الجماعة. وفي الحقيقة فإن الحديث عن الضعف صعب القبول بما أن المقصود هو اختبارات ثقة أو ما تسميه السلفية بـ **"تجاوز العتبة أو القنطرة"**، فمن قطع مراحل الاختبارات سيكون من شبه المستحيل عليه النكوص بالنظر إلى أن خياراته في التراجع تكاد تبلغ من النسبة المئوية صفرا أو أقل.

لا شك أن اختبارات الثقة للقائد ليست من النوع التقليدي الذي يسود الجيوش وحركات التحرر، وكذا الأمر فيما يتعلق ببناء القيادات وصنعها، فهناك مثلا خصائص هامة جرى التعبير عنها في الكثير من المواضع منها تزكية ابن لادن لبعض منفذي هجمات سبتمبر وهو يصفهم بالحياء وسمو الأخلاق والصبر والمواظبة على قيام الليل[2] وهي صفات ذكرت أخيرا بحق شهاب قدورة الملقب بـ**"أبي هريرة"** أحد قادة فتح الإسلام الذي سقط مؤخراً ورفضت قريته دفن جثمانه فيها فاستحق لقب الغريب كما استحقه غرباء العصر في شتى ميادين الجهاد. لكن ثمة خصيصة لا يمكن أن تفلت من ثقافة التوحيد وهي مسألة العزيمة والإرادة والهمة **{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** (آل عمران ١٥٩) **{طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ }** (محمد٢١)، وهنا يمكن أن يتساءل المراقب وهو بأقصى حالات الاندهاش: ما

[1] نفس المصدر، ص ٤٠.
[2] في الحقيقة الأشرطة كثيرة التي تصدرها القاعدة عبر مؤسسة السحاب وتزكي فيها شهداءها نذكر منها شريط العلم للعمل وريح الجنة١ وقوافل الشهداء وبدر الرياض وغيرها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي يجعل رجلاً مثل أبي مصعب الزرقاوي يقطع آلاف الأميال من هيرات بأفغانستان إلى العراق متجهماً كل المخاطر سعيا لمقاتلة دولة تفر منها الدول وجبابرة العصر؟! وما الذي يدفع التسعة عشر لفعل ما فعلوه لو لم يكونوا يتسموا فعلاً بالعزم والتصميم وعلو الهمة؟ بل ما الذي يجعل ابن لادن يترك الدنيا وراءه بملايينها وزخرفها مفضلاً عليها البرد والقيظ وحياة الكهوف والمعاناة؟ وفي الواقع فإن هذا هو حال الملا محمد عمر وداد الله والظواهري وأبو مصعب السوري والجزائري وأبو أنس الشامي وأبو حفص المصري وسيف العدل وسليمان أبو غيث وعبد الهادي العراقي ومصطفى أبو اليزيد وأبو يحيى الليبي وأبو الليث الليبي وعطية الله وحسن معصوم وجمعه باي وخالد الشيخ ومحمد عطا وعبد العزيز المقرن ويوسف العييري وأبو الوليد الغامدي وحامد الجبوري وأبو حمزة المهاجر وأبو عمر البغدادي وشاكر العبسي وأبو سياف وجمال أبو سمهدانة وغيرهم الكثير.

في ساحة العراق تواجه السلفية الجهادية جبهة من الأعداء يصعب تصورها، ومع ذلك يصول مقاتلوها ويجولون ويبذلون جهودا جبارة للإفلات من العملاء والأعداء من أجل أن ينجحوا بزراعة عبوة ناسفة[1]، ويضطرون إلى خوض المعارك وحدهم في الكثير من المناطق كما يحدث في ديالى، فأي عزيمة وإرادة يتحلى بها هؤلاء؟ ليقدروا على الجهاد ومواجهة شظف الحياة ومعاناتها وتربص الجيوش الغازية بهم ومطاردة الخونة والعملاء لهم؟ والطريف حقا لا يكمن في عزيمتهم بل في نفاذ صبر القادة العسكريين الأمريكيين مما يواجهونه من هؤلاء المقاتلين. فإذا كان من المثير أن يكرر الأمريكيون على الدوام، رغم الضربات الموجعة التي يتلقونها، عزمهم على تحقيق النصر في العراق فإنه لمن المدهش والمعجز حقا أن يعلن المجاهدون عن تصميمهم على بلوغ ما يرونه أقصى درجات التوحيد.

[1] أبو حسين المهاجر، الانتصار لأهل التوحيد،٢٧ ذي القعدة سنة ١٤٢٧هـ. وتجدر الإشارة أن البحث يتضمن تحليلا عميقا لأحوال المجاهدين والصعوبات التي تعترضهم في عملياتهم القتالية خاصة ما يتعلق بدور بعض الأحياء والعشائر وحتى بعض القوى السنية الإسلامية التي تنشط ضد المقاتلين بالتعاون مع القوات الأمريكية والحكومية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيضا لوحظت الكثير من وسائل اختبارات الثقة منها عمليات ذبح للأسرى أو ممن أدينوا بالخيانة ومعاونة المحتل وأعوانه، ففي الأشرطة التي بثتها بعض الجماعات الإسلامية خاصة جماعة التوحيد والجهاد التي أسسها وقادها الزرقاوي كان اللافت للانتباه فيها وجود فريق كامل يحيط بالضحية أحدهما يلقي بيانا واثنين أو ثلاثة يقومون بالحراسة ومراقبة المشهد وآخر مهمته التصوير الفيديوي، ولو أن الغاية من بث الشرائط المروعة هو إرهاب الأعداء إلا أنها لا تخلو من كونها آليات اختبار للتمرس على الشدة والغلظة مما يبعث على الاعتقاد بأن الفريق قد يتغير بفريق آخر.

ومن الأساليب أيضا التدريب في ساحات القتال، فقد غلب على بعض عمليات القاعدة في الجزائر خاصة تلك التي استهدفت سبعة مراكز للشرطة في ولاية تيزي أوزو موقعة بعض الخسائر كما لو أنها أقرب إلى العمليات الاستطلاعية والتدريبية من كونها عمليات هجومية يقصد منها إيقاع الخسائر، أما في العراق فقد أعلن البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية في خطاب صريح **"عن تخريج أكبر دفعة في تاريخ العراق لضباط الجهاد في سبيل الله وبدرجة العالمية العليا"**[1] مبينا أن**"الدراسة متواصلة بلا انقطاع صيفا وشتاء، ليلا ونهارا"**، ولسنا ندري ولا نجد تفسيرا كيف يكون في العراق متسعا من الوقت والمكان لدراسة وتدريب على هذا النحو الرفيع فيما البلاد تشهد حربا طاحنة منذ خمس سنوات لا مثيل لها في أي بلد آخر. ولعل الأقرب إلى المنطق أن يكون هؤلاء قد تمرسوا في الميدان على مختلف الأسلحة والوسائل القتالية وفي مختلف الظروف الجوية[2] إلى جانب اتباع أساليب التكيف مع الواقع بالإضافة إلى الدورات التعليمية والتدريبية المكثفة والمتتالية والمعتمدة على الاختبارات الميدانية.

[1] أبو عمر البغدادي، خطاب صوتي بعنوان: "حصاد السنين بدولة الموحدين"، ١٧ / ٤ / ٢٠٠٧.

[2] لمزيد من الاطلاع يمكن العودة إلى: د. أكرم حجازي، "هل يطفئ خطاب البغدادي نار الفتنة؟ المجتمع والعالمية والدولة (١)"، ١٨ / ٤ / ٢٠٠٧. كذلك مشاهد الشريط الذي بثته مؤسسة الفرقان (٢٠٠٧/٥/٣٠) عن تأسيس دولة العراق الإسلامية لـ "كتائب الحراري" حيث ظهر من تحليل الشريط أنه صور وأنجز بينما كان المنفذون يتدربون على مهاجمة المدرعات الأمريكية. راجع مقالة الباحث بعنوان: "بيانات وتقارير عن أسلحة فتاكة بيد المجاهدين"، ٢٠٠٧/٧/٨، مدونة الكاتب:
http://drakramhijazi.maktoobblog.com/?post=399554#myComments

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى هنا يمكن أن نختم هذا المحور بالسؤال التالي: **إذا كان القادة السياسيون ملـــزمين "لتجاوز العتبة" بأن يكونوا على علم شرعي ومن المتمرسين في ميادين القتـــال ومـــن أصحاب العزيمة، فهل من شروط لتجاوز العتبة، غير الصدع بالحق، لـــدى مـــشايخ وعلماء السلفية الجهادية ممن يعيشون حياتهم المدنية؟**

سؤال للبحث...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلاصة القول

هذه بعض أهم ملامح أطروحات السلفية الجهادية كما بدت للباحث، وبالتأكيد هناك الكثير من الأطروحات التي ينبغي التوقف عندها وبيان مضامينها كمسائل التكفير والفتنة والجهاد ومراحل النكاية والتمكين والعلم والمعاملات وفقه الحرب والتحييد وغيرها ممن لم يتم بحثها حتى الآن من قبل الأكاديميين، والإشكال واقعٌ حكماً في التوصيفات قبل التعرض لها بالدرس والتحليل والنقد الذي لو اضطلع به باحثون غير شرعيين لكانت النتائج أفضل والصورة أكثر وضوحا خاصة وأن المسائل الشرعية قلّ من يفهمها من العامة وحتى من الباحثين.

وقبل أن نختم يستحسن تثبيت بعض الإشكالات التي تواجه الخصوم وتنفع في البحث عن أجوبة لها:

١) لا شك أن المتابع للشأن السلفي سيلاحظ أن الإشكال الذي بات يواجه الخصوم لم يعد ينحصر في دخول السلفية فيما تسميه مراحل النكاية في بعض الجبهات المفتوحة كالعراق وأفغانستان والشيشان والصومال ... إنما حقاً في تضخم تيار الجهاد العالمي الذي بلغت امتداداته شتى أصقاع الأرض حتى ولج في رحم الحياة الاجتماعية وبات يتربص بالفرد والجماعة على السواء. ولعل هذا الأمر هو ما يخيف الخصوم ليس فقط خارجياً بل محلياً. والإشكال الأهم في السياق أن الانتشار الحاصل هو انتشار أفقي، أي غير تنظيمي. وهذا يؤشر على أن الانتشار على الطريقة السلفية الجهادية ليس مرتبطا بآلية نشوء التنظيمات التقليدية القائمة على التمويل وتلقي الدعم السياسي والغطاء الأمني من أية جهة سياسية كما هو حال نشأة الأحزاب وحركات التحرر الوطني التي كانت تحتاج إلى حوار إقليمي أو دولي يؤمن لها الظهور والاستمرارية.

٢) والإشكال الثاني، هو عبثية السعي الحثيث لشخصنة التيار السلفي الجهادي وحصره في القاعدة كمرحلة أولى، ومن ثم شخصنة القاعدة وبعدها شخصنة دولة العراق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلامية وصولا إلى تفكيك كل جماعة جهادية من خلال رد نشأتها إلى رموزها وضربها ببعضها البعض كمدخل لتفكيك الجماعة، لكن الذين يحاولون إظهار القاعدة وكأنها تنظيم الظواهري هم أنفسهم الذين عارضوا ابن لادن والزرقاوي والمهاجر والبغدادي، وهم أنفسهم الذين عارضوا طالبان، وهم أنفسهم الذين عارضوا العبسي وأبو سياف وخطاب، وهم أنفسهم الذين سيعارضون كل جماعة جهادية أو مقاومة حتى لو كانت وطنية، وهم أنفسهم الذين قدموا العمل السياسي وراهنوا عليه على حساب الجهاد، وهم أنفسهم الذين غرقوا في الشخصنة حتى شخصنوا معهم كبريات القضايا الوطنية والإسلامية، فلم تعد عقلياتهم تتسع لغير التنظيم أو لأكثر من كونهم **"شخصيات تاريخية"** فيه، بل أن عقلياتهم تحجرت لدرجة أنهم لم يعد بمقدورهم أن يتصوروا عقلا وشرعا وجودهم خارج التنظيم، حتى باتوا كالسمك إذا خرج من الماء هلك. هؤلاء، بنمطية التفكير لديهم، خفي عنهم ملاحظة أن القاعدة جماعة تحمل راية وليست راية، هذه الميزة التي تفصل بين الجماعة والراية فصلا تاما هي الحصن الحصين الذي يجعل من القاعدة تيارا عقديا غير قابل للشخصنة مما يمنحها امتدادات شعبية في شتى أصقاع الأرض، ولو كانت راية التوحيد راية تنظيمية، كما هو الشأن لدى الحركات الإسلامية عامة، لما تجاوزت القاعدة حدود نشأتها، وهذا هو سر انتشارها كفكرة وليس كتنظيم، وهو جوهر المشكلة مع كافة القوى والخصوم لأنها تيار عقدي غير قابل للشخصنة، لذا نؤكد ثانية على أن المشكلة ليست في احتكار القاعدة للجهاد ولا في احتكارها للراية، بدليل أن البداية كانت مع الجهاد الأفغاني ثم تطورت نحو الأفغان العرب ثم القاعدة ثم التيار السلفي بكل أدواته الضاربة، وها نحن نشهد دولة العراق الإسلامية وما بات يتجه نحو حركة الجهاد العالمي في مناطق كثيرة من العالم الإسلامي، لذا فالتفكير في القاعدة وكأنها الوصية على الراية أو الجهاد العالمي هو تفكير عبثي أو مغرض كالشخصنة تماما ليس وراءه من هدف سوى الطعن بالحركة الجهادية العالمية لا أكثر ولا أقل عبر حصرها في تنظيم القاعدة، وتأسيساً على ذلك فإذا ما اختفت القاعدة أو اضمحل نشاطها وذكرها فلأن الأمر وارد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و لم يعد يعني الشيء الكثير، وحتى اختفاء رموزها وقادتها لن يغير في الأمر شيء[1] بما أن الحديث الآن عن الراية تجاوز مرحلة التنظيم بالكامل ليغدو حديثا وفعلا عن راية أمة قد يكون للقاعدة السبق في رفعها والتعبير عنها ولكنها بالتأكيد ليست ملكها ولا هي سعت لاحتكارها ولا يحق لها ذلك، وليس أدل على ذلك من ظهور جماعات ضاربة ذات طابع سلفي جهادي ولكنها ليست فرعا من القاعدة ولا من غيرها.

٣) أما الإشكال الثالث فهو ذاك الواقع في تصريحات الشيخ عطية الله، فقد لا يهتم لها البعض من الجماعات الإسلامية أو ممن **"يستحسنون المد في اللحى ويشرِّعون الجَزْر في العقيدة والتوحيد"**، ولكنها بالتأكيد ستلقي بظلالها على جماعة الإخوان المسلمين التي حددها بالاسم كجماعة، من بين جماعات أخرى، غير مؤتمنة على قضايا الأمة والحركة الجهادية العالمية، وهو تصريح غير مسبوق بهذه الصراحة والوضوح، والأكيد أن الجماعة تشعر بأن السلفية الجهادية إن لم تكن قد سحبت البساط من تحت أقدامها فهي على الأقل تزاحمها وتخوض معها صراعا أيديولوجياً وسياسياً مكشوفاً جرى التعبير عنه بوضوح وعديد المرات من قبل د. أيمن الظواهري وأبي يحيى الليبي[2] وقادة دولة العراق الإسلامية وغيرهم من رموز السلفية على خلفية اتهام الجماعة بالنكوص عن مبادئها وأهدافها[3] فضلاً عن أنها متهمة **"بالعمل على تعميم الإرجاء على أوسع نطاق"**[4]. وإذا كانت السلفية تقرر أنها لا يمكن أن تسلم القيادة والراية للإخوان المسلمين فهذا يعني أضعف الإيمان، ولكن في معنى آخر فقد يشي القرار بأنها لن تغفر للجماعة ما فعلته وتفعله بها في أفغانستان والعراق والجزائر أياً كانت المبررات.

---

[1] كان لافتا للانتباه رد الشيخ ابن لادن في خطاب الرثاء على تصريحات وتحليلات تنبأت بأفول عهد القاعدة في العراق إثر اغتيال أبو مصعب الزرقاوي، ففي شريط الرثاء الصوتي نصح بن لادن الرئيس الأميركي جورج بوش بعدم "الإكثار من الفرح" مشيراً أن "الراية لم تسقط وإنما انتقلت من أسد إلى أسد من أسود الإسلام"، وردت في تسجيل صوتي لبن لادن في ٢٠٠٦/٦/٣٠.

[2] أبو يحيى الليبي، " فلسطين صيحة نذير وصرخة تحذير "، مؤسسة السحاب، ربيع الثاني ١٤٢٨هـ الموافق٢٩-٤-٢٠٠٧م.

[3] راجع كنموذج مقالة د. عصام العريان حول مراجعات الإخوان: "عشر سنوات على مبادرة وقف العنف: العودة إلى منهج الإخوان"، مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٧٦٠، ٢٠٠٧/٧/١٤

http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID=231407

[4] ١٠٠) أبو حمزة المهاجر، خطاب صوتي بعنوان: "قل موتوا بغيظكم"، مصدر سابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤) ويبقى الإشكال الرابع فيما تكشفه التصريحات الأمريكية للقادة العسكريين، فهؤلاء، سواء صدقوا أو راوغوا، إلا أنهم يقرون ميدانيا أنهم يواجهون خصماً عنيداً بلا رحمة ولا يمنحهم أية فرصة للقتال على طريقتهم أو وفقاً لما تعلموه في كلياتهم الحربية، فهم مصممون على المواجهة والصمود والتحدي مثلما هم مصممون على القتال حتى الموت، وهي حالة فريدة لم يسبق للأمريكيين وغيرهم أن خبروها في أي مكان آخر لا في فيتنام ولا في كوريا ولا في أوروبا. ربما في هذه صدقوا ولكنهم في مسألة الانسحاب مراوغون بلا شك حتى وإن كان القرار السياسي متعلقا بتوصياتهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الشرعية:

- القرآن الكريم

١) (لقمان: ١٣)
٢) (الأنفال: ٢٤، ٦٧، ١٠)
٣) (العنكبوت: ٦، ٦٩)
٤) (الكهف: ٢٩)
٥) (الفتح: ٢٩).
٦) (التوبة: ٧٣، ١٠٥).
٧) (الإسراء: ٥)
٨) (آل عمران: ١٥٩، ١٢٦).
٩) (البقرة: ١٩٤، ٢٥٦)
١٠) (محمد: ٢١)
١١) (النساء: ٧٦، ١٠٤)

- الحديث الشريف

١٢) "إذا تبايعتم بالعينة، وتبعتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهـــاد، سلَّط الله عليكم ذُلاً لا يرفعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم"؟
١٣) [لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ]، [حديث نبوي صحيح].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: الشرائط المرئية والصوتية:

١٤) الشيخ أبو حمزة المهاجر، **"قل موتوا بغيظكم"**، تسجيل صوتي، مؤسسة الفرقان، ٥/٥/٢٠٠٧.

١٥) الشيخ أبو حمزة المهاجر، **"نداء إلى علماء الأمة"**، شريط مرئي.

١٦) الشيخ أبو سليمان العتيبي القاضي الشرعي لدولة العراق الإسلامية، **"لماذا نجاهد؟"**، شريط مرئي، مؤسسة الفرقان، ١٢/٤/٢٠٠٧.

١٧) الشيخ أبو عمر البغدادي (أمير دولة العراق الإسلامية)، **"حصاد السنين بدولة الموحدين"**، شريط صوتي، مؤسسة الفرقان، ١٧/٤/٢٠٠٧.

١٨) الشيخ أبو عمر البغدادي (أمير دولة العراق الإسلامية)، **"وقل جاء الحق وزهق الباطل"**، مؤسسة الفرقان، تسجيل صوتي ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٦.

١٩) الشيخ أبو الليث الليبي، **مقابلة مرئية**، مؤسسة السحاب، ٢٧/٤/٢٠٠٧ الموافق ربيع الآخر ١٤٢٨هـ.

٢٠) الشيخ أبو يحيى الليبي، **"توحيد آل سعود وتوحيد الحق"**،شريط مرئي، مؤسسة السحاب، جمادى الأولى ١٤٢٨ - أيار /مايو٢٠٠٧.

٢١) أبو يحيى الليبي، **" فلسطين صيحة نذير وصرخة تحذير"**، مؤسسة السحاب، ربيع الثاني ١٤٢٨هـ الموافق٢٩-٤-٢٠٠٧م.

٢٢) الشيخ أسامة بن لادن، **(تعيين الزرقاوي أميرا لقاعدة الجهاد في بلاد الرافدين)**، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٤.

٢٣) الشيخ أسامة بن لادن، **شرح حديث كعب بن مالك**، شريط مرئي، مؤسسة السحاب.

٢٤) الشيخ أسامة بن لادن، **عرض الهدنة**، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، بتاريخ ١٧ أو ١٨ /٢/٢٠٠٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٥) الشيخ أسامة بن لادن، **"العلم للعمل- الجزء الثاني"**، شريط مرئي، وهو الشريط الذي بثته القاعدة بمناسبة الذكرى الخامسة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر عبر مؤسسة السحاب، ٢٠٠٦/٩/٧. واشتهر بـ **"شريط التوثيق لأحداث سبتمبر"**.

٢٦) الشيخ أسامة بن لادن **"رثاء أبو مصعب الزرقاوي"**، تسجيل صوتي، مؤسسة السحاب، ٢٠٠٦/٦/٣٠.

٢٧) الشيخ أسامة بن لادن، شريط (القسم) مرئي، مؤسسة السحاب، (٢٠٠١/١٠/٧).

٢٨) الشيخ أسامة بن لادن، **مقابلة مع الصحفي تيسير علوني** في أفغانستان (أكتوبر عام ٢٠٠١) والتي لم تنشرها قناة الجزيرة.

٢٩) الشيخ د. أيمن الظواهري، **"الحرب على لبنان"** شريط مرئي ، مؤسسة السحاب، ٢٠٠٦/٨/٢٦.

٣٠) الشيخ د. أيمن الظواهري **"حقائق الصراع بين الكفر والإيمان"**، مؤسسة السحاب، شريط مرئي، **٢٠٠٦/١٢/٢٣**.

٣١) الشيخ د. أيمن الظواهري، **"دروس وعبر وأحداث عظام في سنة ١٤٢٧هـ"**، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، ١٤٢٨هـ.

٣٢) الشيخ د. أيمن الظواهري، **المعادلة الصحيحة**، شريط مرئي، مؤسسة السحاب، ٢٣ / ١ / ٢٠٠٧.

٣٣) الشيخ د. أيمن الظواهري، **نصيحة مشفق**، مقابلة مرئية، مؤسسة السحاب، ٢٠٠٧/٧/٥.

٣٤) الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي السعودية، **تسجيل صوتي لخطبة جمعة**، جامع الأمير تركي بن عبدالله، ١٤٢٨/٦/١٢ هـ، على موقع البث الإسلامي:

http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=38624.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٥) تقرير عن الحركة الإسلامية في جنوب الفلبين مقابلات مع أبي سياف: **"أسود الفلبين: إنهم قادمون"**، مركز مورو الإعلامي، ١٥/٨/٢٠٠٧.

٣٦) د. عبدالله فهد النفيسي، ندوة بعنوان: **"أثر التحولات العالمية والإقليمية على مواقف التيارات الإسلامية في منطقة الخليج"**، قناة الجزيرة ، ٢٥/٦/٢٠٠٦.

٣٧) **"كتائب الحراري"**، شريط مرئي، مؤسسة الفرقان، ٣٠/٥/٢٠٠٧.

٣٨) **"غزوة نيويورك: أسباب ودوافع"**، شريط مرئي، مؤسسة التنظيم، ١٧-٩-٢٠٠٧.

ثالثا: البيانات:

٣٩) بيان الجماعة الإسلامية في مصر، **"فتح الإسلام..أم تدمير الأوطان"**، (٢٤/ ٥/ ٢٠٠٧)، على موقع الجماعة:

http://www.egyig.com/Public/articles/announce/6./80033469.shtml

٤٠) بيان انضمام الجماعة السلفية في الجزائر إلى تنظيم القاعدة، **"بيان وبشرى بانضمام ومبايعة الجماعة السلفية للدعوة والقتال"**بتاريخ ١٣ / ٩ / ٢٠٠٦.

٤١) بيان الجماعة السّلفيّة للدّعوة و القتال بعنوان: **" إشعار بتغيير التَسْمِيَة"** بتاريخ ٢٤ /١/ ٢٠٠٧.

٤٢) بيان النصرة لأهل السنة في العراق الصادر عن ٢٦ عالما سعوديا، ٢٦/١١/٢٠٠٤. على موقع:

http://www.islamonline.net/arabic/news/2004-11/26/article06.shtml.

٤٣) بيان النصرة لأهل السنة في العراق الصادر عن ٢٦ عالم يمني، ٢٦/١١/٢٠٠٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٤) بيان العلماء الـ ١٣ بعنوان: **"نداء للمجاهدين في العراق"**، **18 نيسان / أفريل ٢٠٠٧**الصادر في أعقاب تفجر الخلاف بين دولة العراق الإسلامية والجيش الإسلامي.

٤٥) رسالة الشيخ سلمان **العودة** بعنوان: **"سلمان العودة يوجه رسالة إلى أسامة بن لادن"** في ١٥ / ٩ / ٢٠٠٧، موقع الإسلام اليوم على الرابط:

http://www.islamtoday.net/albasheer/show_news_content.cfm?id=73974

ورد الشيخ حسين بن محمود عليها على الرابط:

http://www.alekhlaas.net/forum/showthread.php?t=82622

رابعا: المصادر المكتوبة للسلفية الجهادية:

٤٦) الشيخ أبو بكر ناجي، **إدارة التوحش.**

٤٧) الشيخ أبو بكر ناجي: **"الخيانة أخس صفقة في التاريخ".**

٤٨) الشيخ أبو بكر ناجي، **"السنن الكونية بين الأخيار والأغيار"**، إدارة التوحش.

٤٩) الشيخ أبو بكر ناجي، **فتنة المصطلحات.. المصلحة والمفسدة نموذجاً**، إدارة التوحش.

٥٠) الشيخ أبو حسين المهاجر، **الانتصار لأهل التوحيد**، ٢٧ ذي القعدة سنة ١٤٢٧هـ.

٥١) الشيخ أبو محمد المقدسي،**إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس**، موقع منبر التوحيد والجهاد: http://www.tawhed.ws.

٥٢) الشيخ حامد العلي، **"أشباح الانترنت"**، قصيدة على موقعه: .

http://www.h-alali.info/q_open.php?id=6dc55ba4-543f-102a-b164-0010dc91cf69

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥٣) الشيخ أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

٥٤) الشيخ أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم): **"قراءة وتعليق على رسائل وبيانات الشيخ أسامة بن لادن و الدكتور سعد الفقيه إلى الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين وعلماء بلاد الحرمين"**، سلسلة قضايا الظاهرين على الحق (٥)، مركز الغرباء للدراسات الإسلامية والإعلام، بدون تاريخ.

٥٥) الشيخ عابد بن عبدالله البغدادي (أبو حارثة)، **المجاهدون في العراق والشرك المميت**، الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية، الإصدار الأول: سلسلة ... نصيحة الجهاد إلى من نحسبهم خير العباد – صفر ١٤٢٨.

٥٦) الشيخ عطية الله، **لقاء خاص مع مركز اليقين**، وبحسب المركز فقد [أنجز اللقاء عبر المراسلة في العشر الأواخر من جمادى الأولى ١٤٢٨هـ/يونيو٢٠٠٧م].

خامسا: المراجع:

٥٧) أسامة البغدادي، **"حرب القاعدة على الإخوان ..العراق أنموذجا"**، على موقع الرواق:

http://www.alrewak.net/sub.asp?page1=v_tajarob&id=65

٥٨) د. أكرم حجازي، **بيانات وتقارير عن أسلحة فتاكة بيد المجاهدين**، صحف، ٢٠٠٧/٧/٨، راجع مدونة الكاتب:

http://drakramhijazi.maktoobblog.com/?post=399554#myComments

٥٩) د. أكرم حجازي، **تاريخية البرجوازية العربية – مجرد بروليتاريا**. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات (محكمة) / رام الله– فلسطين / العدد الثامن، تشرين أول - أكتوبر٢٠٠٦م، ص ٢٩٧ - ٣٠٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦٠) د. أكرم حجازي، **رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية** – صحيفة القدس العربي، أربع حلقات ابتداء من ٢٨ – ٣١ /٩/٢٠٠٦.

٦١) د. أكرم حجازي، **الصين تحت مجهر السلفية الجهادية** – صحيفة الوقت البحرينية، العدد ٣٢٢ - ٣٢٦، خمس حلقات ابتداء من ٧/١/٢٠٠٧.

٦٢) د. أكرم حجازي، **"هل يطفئ خطاب البغدادي نار الفتنة؟ المجتمع والعالمية والدولة (١)"**، ١٨ / ٤ / ٢٠٠٧. راجع مدونة الكاتب:
http://drakramhijazi.maktoobblog.com/?post=293143

٦٣) الشيخ بكر عبد الله أبو زيد، **حلية طالب العلم**، دراسة من ٤٨ صفحة، ص ٤٢.
http://saaid.net/Warathah/bkar/index.htm.

٦٤) عبد الإله حيدر الشائع، **"دعوة للدكتور القرضاوي: أخرج من قصورك لمناقشة القاعدة في سراديبهم"، ١١//٢٠٠٧، على موقع مدونة الكاتب:**
http://abdulela.maktoobblog.com/?post=320475.

٦٥) عبدالله فهد النفيسي، **أحداث سبتمبر والهزة التاريخية في الفكر الأوروبي والأمريكي**، مجلة العصر الإلكترونية، ١٠/٩/٢٠٠٦. على الشبكة:
http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=8200

٦٦) د. عصام العريان حول مراجعات الإخوان: **"عشر سنوات على مبادرة وقف العنف: العودة إلى منهج الإخوان"، مجلة المجتمع الكويتية، العدد 1760**، ١٤/٧/٢٠٠٧.-http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID=231407

٦٧) علي عبدالله صالح، **تصريحات سياسية**، صحف ووكالات، ١٢/٧/٢٠٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦٨) فؤاد حسين، **الزرقاوي: الجيل الثاني للقاعدة**، دار الخيال، ط١، ٢٠٠٥، بيروت لبنان.

٦٩) محمد أسعد بيوض التميمي، **الوسطيون المحرفون لدين الله والحرب على الإسلام؟ والوسطية في القرآن الكريم**، ١٤/٦/٢٠٠٧. **موقع الكاتب:**
http://www.grenc.com/a/mTamimi/show_Myarticle.cfm?id=7432.

٧٠) محمد أسعد بيوض التميمي، **"في فقه المعركة: جهاد في سبيل الله وليس نضال ومقاومة"**،
http://islamouna.info/dnn/MemberDetails.aspx?Id=35.

٧١) محمد أسعد بيوض التميمي: **"مفاهيمنا ومُصطلحاتنا: مفهوم الأمة والهوية"**. على موقع مفكرة الإسلام:
http://www.islammemo.cc/article1.aspx?id=50417

٧٢) مهدي عاكف، منتدى حوار موقع الـ BBC **" مرشد جماعة الإخوان المسلمين مهدي عاكف يرد على أسئلتكم "، شباط / فبراير ٢٠٠٧.**
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid_6370000/6370217.stm.

٧٣) الأمير نايف بن عبد العزيز، **صحيفة الشرق الأوسط السعودية**، ٢١ / ٩ / ٢٠٠٦، العدد ١٠١٥٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com